



د/ موسى بن علي صيرفي

مسالك النصارى في الاستدلال بالقرآن على عقائدهم يوسف...

Humanities and Educational
Sciences Journal



مجلة العلوم التربوية
والدراسات الإنسانية

ISSN: 2617-5908 (print)

ISSN: 2709-0302 (online)

مسالك النصارى في الاستدلال بالقرآن على عقائدهم يوسف الحداد نموذجًا*

د/ موسى بن علي بن أحمد صيرفي

أستاذ مساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد
المملكة العربية السعودية

ml-serfe@kku.edu.sa

تاريخ قبوله للنشر 14 /11/2024

<http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index>

(* تاريخ تسليم البحث 8 /10 /2024

(* موقع المجلة:

العدد(43)، شهر ديسمبر 2024م

426

مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية



مسالك النصارى في الاستدلال بالقرآن على عقائدهم يوسف الحداد نموذجًا

د/ موسى بن علي بن أحمد صيرفي
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد
المملكة العربية السعودية

الملخص

نظرًا لمكانة القرآن الكريم عند المسلمين؛ سعى النصارى إلى محاولة تشويه معانيه، وصرف دلالات الآيات إلى ما يوافق أهواءهم، فبحثوا فيه عما يزعمون أنه موافق لدينهم ومؤيدًا لعقيدتهم، ووصلوا إلى مرحلة خطيرة من التلبيس في عرض بھتائهم بأسلوب فكري هجومي يخاطب عقل المسلم، ويرمي إلى التأثير فيه من خلال مسلماته لرزلة اعتقاده وإيمانه بربه سبحانه وتعالى، ومحاولة الوصول به إلى التنصير، ومن هؤلاء يوسف الحداد، وجاء هذا البحث لبيان تلبس النصارى وتدليسهم بادعائهم، وسوء فهمهم، وتعمد إضلالهم بالاستدلال بالقرآن على معتقدتهم، في الألوهية والتثليث.

الكلمات المفتاحية: مسلك النصارى، الاستدلال بالقرآن الكريم، عقائد النصارى، يوسف الحداد.



The Paths of Christians in Using the Quran to Support Their Beliefs: Yusuf al-Haddad as a Case Study

Musa Bin Ali Bin Ahmad Sairafi

Assistant Professor in the Department of Creed and Contemporary Doctrines College of Sharia and Fundamentals of Religion, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

Due to the Quran's esteemed status among Muslims, Christians have sought to distort its meanings and divert the interpretations of its verses to align with their own desires. They have scrutinized the Quran, claiming to find elements that supposedly align with their religion and support their doctrines. This approach has reached a critical level of deception, presenting their falsehoods in an intellectually aggressive manner that appeals to the Muslim intellect, aiming to influence and destabilize Muslim beliefs and faith in God, Almighty. The ultimate goal of these efforts is to lead Muslims towards Christianization. Among those who pursued this path is Yusuf al-Haddad. This study aims to clarify the distortions and deceptions employed by Christians in their claims, their misinterpretation, and intentional misleading by attempting to support their beliefs - such as divinity and the Trinity-using the Quran.

Keywords: Christian Approach, Using the Quran as Evidence, Christian Doctrines, Yusuf al-Haddad.

مقدمة البحث:

الحمد لله وحده، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، المنزه عن الصحابة والولد. وأشهد أن لا إله إلا هو لا شريك له وأن محمداً عبد الله ورسوله ﷺ وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. أما بعد

فإن الله أنزل القرآن حاتماً لكتبه، وتحدى به الثقلين أن يأتوا بمثله، يقول تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِبُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء: ٨٨)، وأخبر عنه أنه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (فصلت: ٤٢)، ولما كان القرآن الكريم منزلاً من عند الحكيم الحميد، فلا يمكن أن تتعارض آياته ونصوصه، كيف وهو من عند الله، يقول تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء: ٨٢).

ونظراً لمكانة القرآن عند المسلمين؛ سعى أعداء الدين من النصارى إلى محاولة تشويه معانيه، وصرف دلالات الآيات إلى ما يوافق أهواءهم، فبحثوا في القرآن الكريم عما يزعمون أنه موافق لدينهم ومؤيداً لعقيدتهم في تأليه عيسى، والقول بالثلثية، وغير ذلك مما يعتقدون، ومن هؤلاء يوسف الحداد. وجاء هذا البحث بيانا ورداً على شبههم، وقد أسميته "مسالك النصارى في الاستدلال بالقرآن الكريم على عقائدهم يوسف الحداد نموذجاً".

مشكلة البحث:

لعل من أبرز الصعوبات التي واجهت الباحث في هذا الموضوع اتساع مادته، ودقة مسأله؛ ما يستدعي البحث في كتب العقيدة، والتفسير، وما يتفرع عنها من كتب الإعجاز والمناسبة، وغيرها.

أسئلة البحث:

- يحاول هذا البحث الإجابة عن سؤال عام، ما مسالك النصارى في الاستدلال بالقرآن على عقائدهم؟ ويندرج تحته عددٌ من الأسئلة؛ منها ما يأتي:
- ١- ما أدلة النصارى على صحة معتقداتهم في القرآن الكريم؟
 - ٢- ما مسالك يوسف الحداد في الاستدلال بالقرآن على صحة عقيدة النصارى؟
 - ٣- كيف ترد على يوسف الحداد فيما ادعاه من توافق بين القرآن وما يعتقد النصارى في الإلهية والثلثية؟

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تبرز أهمية البحث من خلال النقاط الآتية:

- ١- المشاركة في الدفاع عن كتاب الله وبيان الطعن الموجه في له من النصارى.
- ٢- إلقاء الضوء على تلبس النصارى حول القرآن كما ظهر في كتابات يوسف الحداد.
- كثرة المؤلفات التي ألفها النصارى للطعن في القرآن الكريم، وردُّ تلك الافتراءات.



٣- إزالة ما يعلق في أذهان بعض المسلمين من شبهاتٍ ومتشابهاتٍ يستدل بها النصارى حول القرآن.
أهداف البحث:

- ١- بيان خطورة منهج النصارى في محاربة الإسلام والمسلمين، ولا سيما بالتهجم على كتاب الله العظيم.
- ٢- بيان محاولة النصارى تشويه معاني القرآن، وصرف دلالاته إلى ما يوافق معتقدتهم وأهواءهم.
- ٣- إثراء مكتبات العقيدة الإسلامية والملل والنحل بشيء من الردود على النصارى حول القرآن الكريم.
- ٤- كشف الشبهات التي أثارها يوسف الحداد في استدلاله بالقرآن الكريم على عقيدة الإلهية والتثليث.

الدراسات السابقة:

من خلال تقصي البحث عن هذا الموضوع ومفرداته، لم أجد موضوعًا يحمل العنوان نفسه، ولكن وجدت بعض الدراسات تدور حول الموضوع، لعل أهمها ما يأتي:

- ١- "أدلة النصارى على ألوهية المسيح ومعجزاته من القرآن الكريم" (جمعًا ودراسةً)، ابن سلامة، حمود بن إبراهيم بن حمود، مجلة جامعة الملك سعود - العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود، ٢(٢٤)، السعودية، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).

أوجه الاتفاق والاختلاف:

هذا البحث تتفق مع دراستي في بحث استدلال النصارى بآيات القرآن الكريم على بعض عقائدهم، إلا أن هذا البحث اقتصر على أدلة النصارى على ألوهية المسيح ومعجزاته من القرآن الكريم، كما أشار الباحث في مقدمة دراسته فقال: (رأيتُ أن أحصره فيما يتعلق باعتقادهم ألوهية المسيح ومعجزاته، وقد سميتُه: أدلة النصارى على ألوهية المسيح ومعجزاته من القرآن الكريم (جمعًا ودراسةً)).

ودراستي أعم من ذلك بتناولها مسالك النصارى في الاستدلال بالقرآن الكريم على عقائدهم من خلال مؤلفات يوسف الحداد.

- ٢- "استدلال النصارى على صحة عقائدهم بالقرآن عرض ودحض" علي سيد أحمد الفريسي، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، ٢٥(٢٥)، (الجزء الثاني)، (٢٠٠٦، ٢٦٣-٣٥١)، منشورة على شبكة المعلومات (الإنترنت) بهذا العنوان، لكن المادة العلمية لهذا العنوان غير موجودة ومنشور بدلاً منها تحت عنوان: "القيم الأخلاقية والتربوية في فلسفة (مسكويه)".

- ٣- رد شبهات يوسف درة الحداد في كتابه (القرآن دعوة نصرانية) د. محمد جواد إسكندرلو، د. أحمد سالم عبد علي عتاي، - العتبة العباسية المقدسة - المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، مجلة دراسات استشرافية، ٦٤، (٢٠١٦م)، محور البحث يدور حول شبهة قديمة حديثة، حيث ولدت مع الإسلام ولازال يرددها بعض المستشرقين، ألا وهي شبهة اقتباس القرآن من الكتب السماوية، فقالوا إن النبي ﷺ يُملي عليه القرآن، وهو يحتاج دائمًا إلى أهل الكتاب، وكان يشك فيما أنزل إليه؛ فيستعين بأهل الكتاب وأهل الذكر،



فكانوا يشهدون له بأن ما سمعه هو فعلاً موجود، وليس خيالاً، فجننا بأسماء المستشرقين في هذا المجال ثم ناقشنا آراء مستشرق معاصر يعني يوسف درة الحداد الذي أطلق اسم (القرآن دعوة نصرانية) على كتابه (من سلسلة "في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي") لكي يوحي للقارئ منذ البداية بأن القرآن نفسه يدعو للنصرانية، أو أنه مأخوذ من النصرانية ومقتبس منها، واعتمد في هذا الأمر على اثنتي عشرة وثيقة أو آية تدعم ما يقول، لكننا اقتصرنا على مناقشة بعض هذه الوثائق التي نراها أكثر حيويةً والتصاقاً بموضوع اقتباس القرآن ونصرانيته (كما يدعيه الحداد).

أوجه الاتفاق والاختلاف:

هذه الدراسة، وإن اتفقت مع جزء من دراستي في تناول يوسف درة الحداد والرد على شبهاته، إلا أن هذا البحث تتناول كتابه (القرآن دعوة نصرانية)، ودراستي موضوعها مسالك النصارى في الاستدلال بالقرآن على عقائدهم يوسف الحداد نموذجاً، فموضوعها أعم وأشمل، فدراستي تتناول يوسف الحداد نموذجاً للاستدلال بالقرآن على معتقدات النصارى.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون المنهج المتبع فيه أربعة مناهج مختلفة متداخلة تخدم البحث من خلال الاطلاع في ثبوت المصادر والمراجع، وانتقاء النصوص التي تخدم فكرة البحث، وأول تلك المناهج: **المنهج التاريخي**: الذي يتضمن بدء مساعي النصارى في التدليس والتضليل. **المنهج المقارن**: بأن نعقد أوجه مقارنة بين أدلة النصارى على أكاذيبهم. **المنهج التحليلي**: الذي يحلل الآراء والاتجاهات الخاصة بأكاذيب النصارى وادعاءاتهم. **المنهج النقدي**: بعد نقل أقوالهم ومزاعمهم حللت الآراء المختلفة والنصوص المتباينة ومناقشتها أنقدها. وقد اتخذت في سبيل تحقيق ذلك الإجراءات الآتية:

- ١- بيان معتقد النصارى في كل مطلب من المطالب الواردة من كتبهم ومصادرهم.
- ٢- ذكر الآيات التي يستدل بها النصارى على ألوهية عيسى - عليه السلام - ومعجزاته، ثم أوردت أقوالهم حولها ملتزمًا بنصوصهم إلا ما دعت الحاجة إلى اختصاره أو التصرف فيه.
- ٣- رجعت إلى جملة من مصادر التفسير، وإلى كتب الاعتقاد والملل التي عنيت بالرد على النصارى.
- ٤- اختصار المعلومة اختصاراً غير مخلٍ بالمضمون؛ ليسهل الاطلاع عليها، وتحصل الفائدة منها.
- ٥- الالتزام بإرجاع الأقوال - قدر الاستطاعة - إلى مصادرها الأصلية.
- ٦- عزو الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى مواضعها من القرآن الكريم، بذكر اسم السورة والآية.
- ٧- خرجت الأحاديث الواردة، وذلك بذكر اسم الباب، ثم الجزء والصفحة، ثم رقم الحديث.



خطة البحث: وتشتمل على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات العنوان.

المبحث الأول: استدلال النصارى بالقرآن الكريم على ألوهية المسيح -عليه السلام - وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مسالك النصارى في دعوى ألوهية المسيح -عليه السلام -:

المسلك الأول: المسيح فيه صفات الألوهية، فهو ابن الله، وله كامل الصفات التي لله.

المسلك الثاني: طلاقة القدرة الإلهية في ولادته دليل ألوهيته.

المسلك الثالث: مميزات المسيح وخصوصياته في القرآن دليل ألوهيته.

المطلب الثاني: الرد على ادعاء النصارى ألوهية المسيح -عليه السلام - وفيه مسالك:

المسلك الأول: الرد على زعمهم أن المسيح فيه صفات الألوهية، فهو ابن الله وله كامل الصفات التي لله.

المسلك الثاني: الرد على زعمهم أن طلاقة القدرة الإلهية في ولادته دليل ألوهيته.

المسلك الثالث: الرد على قولهم مميزات المسيح وخصوصيات دليل ألوهيته.

المبحث الثاني: استدلال النصارى بالقرآن الكريم على التثليث، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مسالك النصارى في إثبات التثليث في القرآن الكريم، وفيه أربعة مسالك.

المسلك الأول: التشابه بين البسملة في الإسلام والبسملة في المسيحية.

المسلك الثاني: كثرة الآيات التي يتحدث فيها عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على التثليث.

المسلك الثالث: القول بفطرية التثليث بدليل وجوده في الأمم السابقة.

المسلك الرابع: ورود كلمات (الله، كلمته، روحه) في القرآن كما وردت في الإنجيل.

المطلب الثاني: الرد على ادعاء النصارى بثبوت التثليث بالقرآن الكريم، وفيه أربعة مسالك.

المسلك الأول: الرد على قولهم بتشابه البسملة في الإسلام والمسيحية.

المسلك الثاني: الرد على شبهة ورود صيغة الجمع الدالة على التثليث.

المسلك الثالث: الرد على القول بفطرية التثليث.

المسلك الرابع: الرد على قولهم بورد كلمات (الله، كلمته، روحه) في القرآن كما وردت في الإنجيل.

المبحث الثالث: استدلال يوسف الحداد بالقرآن الكريم على العقيدة النصرانية والرد عليه، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بيوسف الحداد.

المطلب الثاني: منهجه الفكري في الاستدلال بالقرآن الكريم.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية ليوسف الحداد للاستدلال بالقرآن على عقائد النصارى والرد عليه.

الخاتمة: وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات.

ختامًا أسأل الله - تعالى - التوفيق والسداد، فما كان صوابًا فمن الله - سبحانه وتعالى - وما كان من خطأ

فمن نفسي وأستغفر الله منه، ومن جميع ذنبي، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.



التمهيد:

يورد النصارى بعض التشبهات يزعمون فيها أن القرآن يصدق عقيدتهم في القول بالتثليث وألوهية المسيح، واستندوا في ذلك إلى متشابه الآيات التي فهموها وفق مرادهم، ووظفوها لتحقيق هدفهم، وإلى ما في الآيات الكريمة من ثناء على المسيح وأمه والحواريين والمؤمنين من النصارى.

وفي حياة النبي ﷺ أقبلت وفود القبائل العربية إلى رسول الله ﷺ من مختلف أنحاء الجزيرة، وكان من أوائل هذه الوفود وفد نصارى نجران الذين جادلوا رسول الله ﷺ زاعمين أن القرآن يدل على التثليث، وعلى ألوهية عيسى - عليه السلام - وأنه ابن الله؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وبذلك كانوا أول من سلك هذا الطريق المضل من النصارى في حياة الرسول ﷺ وقد ذكر ابن هشام "أن الله - سبحانه وتعالى - أنزل في ذلك من قولهم (أي زعمهم دلالة القرآن على ألوهية عيسى - عليه السلام - والتثليث وبنوته) واختلاف أمرهم: صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها".

وقد تتابعت بعد ذلك الكتب والرسائل النصرانية التي زعمت أن كتاب الله يؤيد بعض معتقدات النصارى، إلى غير ذلك من مزاعم وافتراءات على كتاب الله أرادوا بها تحقيق أهداف عدة؛ منها: إبعاد النصارى عن الإسلام بزعم أن القرآن يؤيدهم على ما هم فيه من معتقدات باطلة، وأن ما في القرآن موجود في التوراة والإنجيل، فلم الإسلام مادام الأمر في زعمهم كذلك؟، والطعن في القرآن لزعة معتقد المسلمين، وإبعادهم عن دينهم، توطئة لتنصيرهم من خلال القرآن نفسه، بحجة أن ما عليه النصارى ليس باطلاً فضلاً عن أن يكون كفرةً، لما زعموه من تأييد القرآن لهم، وفي هذه الصفحات نلقي الضوء على تلييس النصارى وتدليسهم بادعائهم أن القرآن ناطق بعقيدتهم ومؤيداً لها، ونبدأ بتعريف بعض المصطلحات مما له صلة مباشرة بموضوع البحث.

مسالك النصارى:

المسالك لغة: (سَلَكَ) السَّيْرُ وَاللَّامُ وَالْكَافُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نُفُوزِ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ، يُقَالُ سَلَكْتُ الطَّرِيقَ أَسَلَكْتُهُ، وَسَلَكْتُ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ، «المسلك مفرد: والجمع مسالك»: مصدر ميمي من سلك/ سلك ب/ سلك في: تصرف "كان مسلكه غريباً"، طريق "سلكنا مسلكاً لم يسلكه أحد من قبل - مسالك الجبال - هذا مسلك وعراً"^(١).

المسالك اصطلاحاً:

الطريق والوسيلة، ومنه مسلك العلم، أي طريق تحصيله، ومنه مسالك العلة^(٢).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس، دار الفكر: عام النشر: (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، (٩٧/٣)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب: ط١، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، (١٠٩٧/٢).

(٢) مصطفى قطب سانو، معجم مصطلحات أصول الفقه، مفكرون الدولية للنشر والتوزيع: (٢٠٢٢) ٤٠٨.

النصارى لغة واصطلاحًا:

المعنى اللغوي: مفردها نصراني، يقال: نصرته على عدوه ونصرته منه نصرًا: أعنته وقويته، والفاعل ناصر ونصير وجمعه أنصار، والنصرة بالضم اسم منه، وتناصر القوم مناصرة: نصر بعضهم بعضًا، وانتصرت من زيد انتقمته منه، واستنصرته طلبت نصرته، ونصارى: هم من يتبع دين المسيح، فيقال: رجلٌ نصراني، ثم أطلق النصارى على كل من تعبد بهذا الدين، وربما قيل: نصران ونصرانة، ونصرى وناصرة ونصورية: قرية بالشام، والنصارى منسوبون إليها، والتنصر: الدخول في النصرانية، ونصره: جعله نصرانيًا^(١).

المعنى الاصطلاحي: هم أمة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته عليه الصلاة والسلام^(٢)، وهو المصطلح الذي أطلقه الله تعالى عليهم في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ...﴾ [البقرة: ١١٣] وغيرها من الآيات الكثيرة.

الاستدلال:

الاستدلال لغة: عرفه الجرجاني: هو تقرير الدليل لإثبات المدلول^(٣).

وعرفه الكفوي: الاستدلال: طلبًا لدليل، ويطلق في العرف على إقامة الدليل مطلقًا من نص أو إجماع أو غيرهما، وعلى نوع خاص من الدليل، وقيل: هو من عرف أهل العلم تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء أكان ذلك من الأثر إلى المؤثر أو بالعكس^(٤).

عقائد النصارى:

العقيدة لغةً واصطلاحًا:

العقيدة لغةً: كلمة ((عقيدة)) مأخوذة من العقد والربط، والشدّد بقوة، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسك والمرابطة، يقال: عقد الحبل يعقده: شدّه، ويقال: عقد العهد والبيع: شدّه، وعقد الإزار: شدّه بإحكام، والعقد: ضدّ الحل^(٥).

العقيدة اصطلاحًا: عرفت بتعريفات كثيرة، منها:

- (هي الفكرة الكلية اليقينية للإسلام عن الكون والإنسان والحياة، وعمّا قبل الحياة الدنيا وعمّا بعدها، وعن علاقتها بما قبلها وما بعدها)^(٦).

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢١١/٥، المصباح المنير، الفيومي، ٦٠٧/٢، معجم اللغة العربية المعاصرة، الدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، ٢٢٢١/٣، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٢٥/٢.

(٢) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٢٦٦/١.

(٣) ينظر: كتاب التعريفات للجرجاني، ١٧.

(٤) ينظر: الخليات للكفوي، ١١٤.

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الدال، فصل العين، ٢٩٦/٣، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، باب الدال، فصل العين،

٣٨٣، ومعجم المقاييس في اللغة لابن فارس، كتاب العين، ٦٧٩.

(٦) صالح ذياب هندي: دراسات في الثقافة الإسلامية: ط ٩، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، عن دار الفكر للنشر: عمان، ٤٣.



- (ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، أو هي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولاً، إيماناً لا يرقى إليه الشك، ولا تؤثر فيه شبهة، كعقيدة وجود الله وبعثه الرسل^(١)).

التعريف الإجرائي: مسلك النصارى: طرق النصارى ووسائلهم في الاستدلال بالقرآن الكريم على عقيدتهم.

المبحث الأول: استدلال النصارى بالقرآن الكريم على ألوهية المسيح عليه السلام

من أهم القضايا المعاصرة من النصارى هي إثارة الافتراء بأن القرآن الكريم به آيات ظاهرة تؤكد بشرية المسيح وناسوته، بينما في حقيقة آيات القرآن وباطنه حقيقة أخرى تؤكد ألوهية المسيح ولاهوته، فأصبح أسلوب هؤلاء أسلوباً هجومياً متجهحاً لتلك الأباطيل، حيث تدخلوا في نصوص من القرآن والسنة، وذهبوا يفسرونها وفق معتقداتهم الضالة، فضلاً على أنهم قد استشهدوا بنصوص من المفسرين، للقرآن والسنة، كي يقنعوا غيرهم بأن قضيتهم صحيحة، وأن المسيح بالفعل إله، وليس بشراً.

وسلكوا في ذلك مسالك منها: مميزات المسيح وخصوصياته في القرآن دليل ألوهيته، واتصاف المسيح بالصفات الإلهية، فهو ابن الله وله كامل الصفات التي لله، وطلاقة القدرة الإلهية في ولادته، كل هذا من دلائل إلهيته، وفيما يأتي ذكر لهذه المسالك بمزيد من التفصيل والبيان:

المطلب الأول: مسالك النصارى في دعوى ألوهية المسيح

المسلك الأول: أن المسيح فيه صفات الألوهية، فهو ابن الله وله كامل الصفات التي لله

يعتقد النصارى في المسيح صفات الألوهية، فهو عندهم ابن الله، وله كامل الصفات التي لله - الأب كما يسمونه، تعالى الله عن ذلك - ومن هذه الصفات، كونه الخالق المحيي واهب الحياة، وعلم الغيب، عصمته من الخطأ.

المسيح الخالق المحيي واهب الحياة:

يعتقد النصارى أن عيسى هو الخالق المحيي واهب الحياة، ويستدلون على ذلك من كتابهم المقدس بعدة أدلة، منها: ما ورد في إنجيل يوحنا: (كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان)^(٢)، وفيه أيضاً: (فيه كانت الحياة)^(٣) يقول البابا شنودة الثالث: (كيف يكون المسيح خالقاً، بينما الخلق من صفات الله وحده؟ لقد كان يخلق بقوة لاهوته، باعتبار أنه الأقوم الثاني عقل الله، إذن فهل هو الذي خلق الكون أم الله الأب هو الذي خلق الكل؟ إن الله الأب خلق العالم كله بالابن، خلقه بعقله، بفهمه، بمعرفته، بكلمته، أي بالأقوم الثاني)^(٤).

(١) داود علي الفاضل الفاغوري: العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم: عن دار الفكر: عمان، (١٩٨٩م)، ٧.

(٢) الكتاب المقدس، (١٩٩٣م)، ٣/١.

(٣) للمزيد انظر: شنودة الثالث، (٢٠٠٧م)، ٣٤ وما بعدها.

(٤) شنودة الثالث، (٢٠٠٧م)، ٣٦.



ويستدل النصارى في هذا الجانب بقوله تعالى: (وَرَسُولًا إِلَىٰ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ٤٩).

علم الغيب: لذا فمن الطبيعي أن يعتقدوا بأنه يعلم الغيب، وما تخفيه الصدور والقلوب.

يقول الأنبا يوانس: (المسيح يعلم الخفايا والسرائر، معلوم أن الله وحده هو العالم بالخفايا والسرائر، وفاحص القلوب والكلبي، ولقد نسب السيد المسيح لذاته صراحة أنه هو الفاحص للقلوب والكلبي لو كان المسيح بشراً كأحد الأنبياء أو الرسل، هل كان ممكناً أن ينسب إلى ذاته أنه هو الفاحص؟)^(١).

ويقول القس أبانوب حنا: (الابن يعرف كل شيء، ويعرف الغيبيات بصفته الإلهية أنه الله الظاهر في الجسد، فهو إنسان كامل يعرف كل المعرفة مثل الأب، وخاصة معرفة يوم وساعة المحي)^(٢).

ويستدل النصارى في هذا الجانب بقوله تعالى عن عيسى - عليه السلام - أنه قال: (وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ٤٩)، ويقول تعالى: (وَإِنَّهُ لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُون هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (الزخرف: ٦١).

يقول القس سامي إسكندر عن آية الزخرف: (وهو - أي المسيح - المهدي الذي تشرئب له أعناق المسلمين بكل مذاهبهم عند ذكر اسمه، وإنه وحده مع الله سبحانه له علم الساعة ((وإنه لعلم للساعة))^(٣))، ويقول القس إبراهيم لوقا عن آية آل عمران: (فالنص والتفسير صريحان في أن المسيح كان يعلم الغيب، يُنبئ بما في الصدور، فإذا كان الإسلام قد أقر أن علم الغيب خاص بالله وحده، وأقر أن المسيح كانت له هذه القدرة؛ فمعنى هذا أن الإسلام يرفع المسيح عن مرتبة البشر، وفي هذا إقرار منه بلاهوت المسيح، وتلك هي النتيجة المنطقية لتصريحات الإسلام)^(٤).

ويقول يوسف درة: (فعلم الساعة من خصائص الله: ((وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم)) والمسيح عنده علم الساعة)^(٥)، ويقول إسكندر جديد عن آية الزخرف: (ومتى ذكرنا أن المعروف عند الناس أن الله ينفرد عن خلقه بأنه وحده عنده علم الساعة، ندرك الميزة التي أفرد بها القرآن للمسيح)^(٦)، ويقول البابا شنودة الثالث: (وأخص منها - أي من معجزات المسيح الواردة في القرآن - معجزتين فوق طاقة البشر جميعاً، لم يقم بمثلها أحد من الأنبياء، وهما القدرة على الخلق، وعلى معرفة الغيب، وهنا يقف العقل لكي تتأمل الروح؛

(١) يوانس، د. ت، ٩١-٩٣.

(٢) إبراهيم، (٢٠٠٦م)، ٣٠.

(٣) إسكندر، (٢٠٠٥م)، ١٠٧.

(٤) لوقا، (١٩٩٥)، ١٣٧-١٣٨.

(٥) الحداد، (١٩٨٦م)، ١٩١.

(٦) جديد، د. ت، ٤.



لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التي لم يعملها أحد والتي هي عمل الله ذاته^(١)، فواضح هنا استدلال النصارى بالآيات الواردة في اختصاص المسيح - عليه السلام - بشيء من علم الغيب على أنه يعلم الغيب علمًا مطلقًا، ومن ثم فهو مستحق للعبادة كما يزعمون.

عصمته من الخطأ: يعتقد النصارى أن المسيح معصومٌ من الخطأ والزلل، سواء عند من يقول بالطبيعة الواحدة كالأرثوذكس - وهذا ظاهر، أو حتى من يقول بالطبيعتين كالكاثوليك والبروتستانت، فالطبيعتان معصومتان.

يقول الأنبا يوانس: (ليس أحد معصومًا من الخطأ إلا الله وحده، حتى إنه يقال في المثل الشائع: ((العصمة لله وحده))، ليس أحد من البشر معصومًا من الخطأ والخطيئة، وحتى الأنبياء لم يكونوا معصومين من الخطأ والخطيئة إلا فيما كتبوا من أسفار مقدسة أو نطقوا من أقوال بإرشاد روح الله، لكن السيد المسيح قال متحدثًا باليهود: ((من منكم بيكني على خطية؟)) أي من منكم يُبَيِّتُ عليّ خطأ^(٢) ويقول القس سيرول: (حين نتحدث عن أن المسيح بلا خطية، فنحن في العادة نشير إلى بشريته، وإنه من غير الضروري أن ندافع عن أن لاهوت المسيح بلا خطية، وعقيدة أن المسيح بلا خطية لم تلق أية معارضة أو جدل أساسي، وكون المسيح بلا خطية لا تفيد فحسب كنموذج لنا، بل هي أساسية وجوهرية من أجل خلاصنا)^(٣).

ويستدل النصارى في هذا الجانب بقوله تعالى: (وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَدُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (آل عمران: ٣٦)، ويقول تعالى: (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) (مريم: ١٩).

يقول القس إبراهيم لوقا: (ذكر القرآن للمسيح مركزًا ممتازًا وخاصًا به في الكمال، فبينما نراه قد سجل على جميع البشر نقصهم الأخلاقي، وسقوطهم تحت سلطان الإثم بلا تفریق بين الأنبياء والرسل جميعًا؛ نراه قد أقر للمسيح بالتنزيه عن الآثام والعصمة من الشرور والخطايا)^(٤) ويقول أيضًا: (إذا كان هذا مركز المسيح الأخلاقي في الإسلام، وإذا ذكرنا أن العصمة هي لله وحده المنفرد بالكمال دون شريك أو شبيهه، فهل نحطّ حين نقول إن الإسلام يقر للمسيحية بصحة عقيدتها عن لاهوت المسيح المجدد؟)^(٥).

المسلك الثاني: طلاقة القدرة الإلهية في ولادته

أن ما حدث لعيسى عليه السلام من أول خلقه وحتى نهاية تبليغ رسالته يعد أمرًا خارقًا غير معهود للبشر؛ ويستدل النصارى على قولهم في ولادة عيسى بقوله: (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَيِّنُ لَكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ

(١) شنودة الثالث، د.ت، ٥.

(٢) يوانس، د.ت، ١٠١-١٠٣.

(٣) سيرول، (٢٠٠٠م)، ٩١.

(٤) لوقا، (١٩٩٥م)، ١٣٣.

(٥) لوقا، (١٩٩٥م)، ١٣٦.



فَيَكُونُ (آل عمران: ٤٥ - ٤٧)، ويقول تعالى: (وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَمَا بَمَسِّنِي بَشَرًا وَمِمَّا أَكُّ بَعِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (٢٣) فَتَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَزَيْتِ بِالنَّخْلَةِ نَسَاطِطَ عَلَيْكَ رَطَبًا حِينًا (٢٥) فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَغَيَّرْنَا بِمَا تَكْرِهِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) (مريم: ١٦-٢٦).

ويقول القس إبراهيم لوقا: (والحقيقة الثانية التي اعترف بها القرآن هي ولادة المسيح بطريقة سرية عجيبة لم تتم لكائن بشري سواه، فقد أثبت القرآن أن المسيح لم يولد من زرع بشري، فولادة المسيح لا شبيه لها ولا مثال، والطريقة التي تمت بها تثبت له شخصيةً خارجةً عن دائرة البشر، وإقرار الإسلام بهذا الميلاد العجيب؛ مصادقةً منه على سمو شخصية المسيح، وحقيقة لاهوته المجد)^(١).

يقول القس عبد المسيح الكندي في شرح آية آل عمران: (إن مريم الطاهرة المباركة صارت إلى أم يحيى بن زكريا، وقد كانت هي وزوجها بائرين تقيين عندما حبلت بيوحنا، فلما قرعت باب منزلها بالتسليم عليها على السنة الجارية عندهم؛ اضطرب الجنين في أحشائها فرحًا، وهتفت أمة بصوت عالٍ قائلةً: من أين لي هذا؟ تأتي أم ربي إي! مذ وقع صوت سلامك في أذني اضطرب الجنين في بطني ساجدًا فرحًا)^(٢).

المسلك الثالث: مميزات المسيح وخصوصياته في القرآن دليل ألوهيته

يحتال بعض النصارى بأخذ نصوص إسلامية للتلبس والتضليل على إثبات أباطيلهم ومعتقداتهم الفاسدة فقد دونوا في كتبهم مبررات انطلقوا منها ليثبتوا ألوهية المسيح في باطن القرآن والسنة حيث استدلوا بتلك النقاط: ميزات المسيح في القرآن "الحبل العجيب - الولادة العجيبة - كونه مباركاً - كونه آيةً ورحمةً للعالمين - كونه مؤيداً بروح القدس - عصمته في رسالته كما في سيرته - تفرد رسالته بالبينات - علامة الساعة، الهجاء الثاني، - إنه الشفيع المقرب - رفعه عند وفاته" ومعجزات المسيح في القرآن "الخلق - النطق عند الولادة - إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص - العلم بالغيب - إنزال المائدة من السماء"^(٣).

ويعتقد النصارى أن عيسى هو الخالق المحيي واهب الحياة، ويستدلون على ذلك بقوله: (وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ

(١) لوقا، إبراهيم، المسيحية في الإسلام. مكتبة الطريق الجيد: سويسرا، (١٩٩٥م)، ط ٥، ١٣٠-١٣١.

(٢) وهي ما ورد في لوقا (٤٢/١-٤٥)، الكتاب المقدس، (١٣٣٩م).

(٣) انظر: داود رياض. من هو المسيح. الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة: (٢٠٠٣) ٦-٢٧.



الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِييَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنْبِيئِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (آل عمران: ٤٩).

يقول القس إبراهيم لوقا: "ومن بين تلك العجائب التي ذكرها القرآن عن المسيح قدرته على أن ((يخلق)) من الطين طيرًا بنفخه فيه، فإذا كانت قوة الخلق خاصةً من خواص اللاهوت، وآيةً من آياته، وكان القرآن قد أقرّ للمسيح بهذه القوة والقدرة؛ فإن النتيجة المنطقية اللازمة هي أن القرآن قد شهد صراحةً بلاهوت المسيح"^(١).

المطلب الثاني: الرد على ادعاء النصارى ألوهية المسيح عليه السلام، وفيه مسالك

المسلك الأول: الرد على زعمهم أن المسيح فيه صفات الألوهية، فهو ابن الله وله كامل الصفات التي لله

أما عن زعم النصارى أن المسيح هو الخالق المحيي واهب الحياة، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: (وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِييَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنْبِيئِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ٤٩)، فالآية الكريمة دلّت دلالةً صريحةً على معجزة من المعجزات التي وهبها الله لعيسى - عليه السلام، وهي الخلق بإذن الله تعالى، وقد جاء تقييد هذه المعجزة - بإذن الله - لكونها مما يختص الله به، وهو ما يؤكده المفسرون، يقول البغوي: ((إني أخلق)) أي: أُصوّر وأقدّر لكم من الطين كهيئة الطير، ((فأنفخ فيه)) أي: في الطير، ((فيكون طيرًا بإذن الله))، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتًا، لبتميز فعل الخلق من فعل الخالق، ولتعليم أن الكمال لله - عز وجل"^(٢).

ويقول ابن كثير: "كان يفعل بصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه فيطير عيانًا بإذن الله - عز وجل، الذي جعل هذا معجزةً له تدل على أنه أرسله، قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى - عليه السلام - السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بمرت الأبرار، وأما عيسى - عليه السلام - فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرّع الشريعة"^(٣)، ويقول ابن عاشور: "والخلق هنا مستعمل في حقيقة؛ أي: أقدّر لكم من الطين كهيئة الطير، وليس المراد به خلق الحيوان، بدليل قوله فأنفخ فيه، وزاد قوله: ((بإذن الله)) لإظهار العبودية، ونفي توهم المشاركة في خلق الكائنات"^(٤).

(١) لوقا، (١٩٩٥م)، ١٣٨-١٣٩.

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل. تحقيق: خالد العك، دار المعرفة: بيروت، د.ت. (٣٠٣/١).

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. دار المعرفة: بيروت، ط٤، (٣٦٥/١).

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر: تونس، (١٩٨٤م)، (١٠١/٣٠).



فالخلق المنسوب للمسيح إنما هو بإذن الله، وعليه فإن الاستدلال بالآية على ألوهية المسيح باطل ولا يصح، فلو كان لها لما احتاج أن يكون خلقه بإذن الله، والله تعالى عندما ذكر خلقه المخلوقات في آيات أخرى لم يحتج أن يجعلها بإذن أحد، يقول تعالى: (وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) (الأعراف: ١٨١)، ويقول تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) (الحجر: ٢٦).

فرق بين خلق الله المطلق وما أعطيه المسيح من قدرة محدودة على الخلق، لا تتم إلا بإذن الله، ويُقوي ذلك رواية وهب السابقة أن الطير كان يطير شيئاً ثم يسقط، وفيه دلالة على التفريق بين المخلوق والخالق.

كما أسهب شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على النصارى عند مسألة خلق المسيح في جملة من الأوجه، منها ما يأتي:

الوجه الأول: أن الله لم يذكر عن المسيح خلقاً مطلقاً ولا خلقاً عاماً كما ذكر عن نفسه تبارك وتعالى.

الوجه الثاني: أنه خلق من الطين كهيئة الطير، والمراد به تصويره بصورة الطير، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس، فإنه يمكن لأحدهم أن يصور من الطين كهيئة الطير وغير الطير من الحيوانات، ولكن هذا التصوير محرمٌ، بخلاف تصوير المسيح فإن الله أذن له فيه، والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح، فيصير طيراً بإذن الله - عز وجل، **الوجه الثالث:** أن الله أخبر المسيح أنه إنما فعل التصوير والنفخ بإذنه تعالى، وأخبر المسيح - عليه السلام - أنه فعله بإذن الله، وأخبر الله أن هذا من نعمه التي أنعم بها على المسيح - عليه السلام - وهذا كله صريح في أنه ليس هو الله، وإنما هو عبد الله، فعل ذلك بإذن الله، الوجه الرابع: أن اللاهوت إذا كان هو الخالق لم يحتج إلى أن يأذن لنفسه، الوجه الخامس: أن الخالق إما أن يكون هو الذات الموصوفة بالكلام أو الكلام الذي هو صفة للذات، فإن كان هو الكلام، فالكلام صفة لا تكون ذاتاً قائمة بنفسها خالقة، ولو لم تتحد بالناسوت، واتحادها بالناسوت دون الموصوف ممتنع لو كان الاتحاد ممكناً فكيف وهو ممتنع؟ فقد تبين امتناع كون الكلمة تكون خالقة من وجوده.

وإن كان الخالق هو الذات المتصفة بالكلام، فذاك هو الله الخالق لكل شيء، رب العالمين، وعندهم هو الأب، والمسيح عندهم ليس هو الأب، فلا يكون هو الخالق لكل شيء^(١).

وأما اعتقادهم بأن معرفته بالغييب المطلق دليل ألوهيته:

استشهد النصارى بآية آل عمران، وهي قوله تعالى: (وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (آل عمران: ٤٩) وهو استدلال باطل ولا يصح؛ وما جاء في كتاب الله من ذلك إنما يدل على اختصاصه ببعض علم الغيب لا مطلقه، ولم يكن ذلك قاصراً عليه.

للدلالة على علم المسيح المطلق للغييب، وهذا خلاف ما يقتضيه سياق الآية وظاهرها، فالآية دالة على شيء مما اختص الله به المسيح، وهو بعض علم الغيب لا مطلقه، إذ العلم هنا محصور بما يؤكل ويدخر وليس بكل علم، وهو ما ذكره المفسرون، قال الطبري: "وأما قوله ((وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ)) فإنه يعني: وأخبركم بما تأكلونه مما لم أعانيه

(١) انظر: ابن تيمية. د. ت، ٤/٤٤-٥٢، بتصرف.



وأشاهده معكم في وقت أكلكموه، ((وما تدخرون)) يعني بذلك: وما ترفعونه فتخبثونه ولا تأكلونه، يعلمهم أن من حجته أيضاً على نبوته مع المعجزات التي أعلمهم، أنه يأتي بما حجة على نبوته وصدقه في خبره أن الله أرسله إليهم^(١)، ويقول أيضاً: "وقال آخرون: إنما عني بقوله ((وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم)) ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم، وما تدخرون منها"^(٢)، ثم إن هذا العلم المقيد الذي علمه المسيح - عليه السلام - كان لسبب، وهو قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ)، أي هذه الآية وغيرها، هي من باب الدلالة على صدقه - عليه السلام - فيما جاء به من إفراد الله بالعبادة والتوحيد.

وأما اعتقادهم بعصمته من الخطأ:

فقد جاء في آية آل عمران استعادة أمّ مريم - عليها السلام - بالله من الشيطان، وتقبل الله واستجابته لدعاتها، وهو ما اعتمد عليه النصارى في قولهم بعصمة المسيح الدالة على ألوهيته في زعمهم، وبتأمل ما أورده المفسرون حول الآيتين السابقتين نجد أنه مخالف لما يحاول النصارى التلبيس به.

فأما آية آل عمران، فقد جاء في الحديث: عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: ((ما من مؤلود يُولَدُ إِلَّا نَحَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا من نَحْسِهِ الشَّيْطَانِ إِلَّا ابنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ)) ثُمَّ قال أبو هريرة: أقرؤوا إن شئتم: (وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (آل عمران: ٣٦)^(٣).

يقول الطبري عند هذه الآية: "القول في تأويل قوله تعالى: ((وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)) تعني بقولها: وإني أعيدها بك وذريتها؛ وإني أجعل معاذها ومعاذ ذريتها من الشيطان الرجيم بك، وأصل المعاذ: المولئ والملاج والمعلقل، فاستجاب الله لها؛ فأعازها الله وذريتها من الشيطان الرجيم، فلم يجعل له عليها سبيلاً"^(٤).

ويسرد الرازي جملة من الأقوال الواردة في القبول الحسن فيقول: (ذكر المفسرون في تفسير ذلك القبول الحسن وجوهاً: الوجه الأول: أنه تعالى عصمها وعصم ولدها عيسى - عليه السلام - من مسّ الشيطان، الوجه الثاني: في تفسير أن الله تعالى تقبلها بقبول حسن، ما روي أن حنة حين ولدت مريم، لفّتها في خرقة وحملتها إلى المسجد، ووضعها عند الأحبار أبناء هارون، وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة، وقالت: خذوا هذه النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم، وكانت بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم، فقال لهم زكريا: أنا أحق بها، عندي خالتيها، فقالوا: لا حتى نفتع عليها، فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر، فألقوا فيه أقلامهم التي كانوا يكتبون الوحي بما على أن كل من ارتفع قلمه فهو الراجح، ثم ألقوا أقلامهم ثلاث مرات، ففي كل مرة كان يرتفع قلم زكريا فوق الماء، وترسّب أقلامهم، فأخذها زكريا.

(١) الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: خالد العك، دار الفكر: بيروت، (٢٧٨/٣).

(٢) المصدر السابق، (٢٧٨/٣).

(٣) أخرجه البخاري، (١٤٠٧هـ)، ٤/١٦٥٥، ح (٤٢٧٣): باب (وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)؛ ومسلم، د.ت،

٤/١٨٣٨، ح (٢٣٦٦): باب فضائل عيسى - عليه السلام.

(٤) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣٨/٣).



الوجه الثالث: روى القفال عن الحسن أنه قال: إن مريم تكلمت في صباها كما تكلم المسيح ولم تلتقم ثدياً قط، وإن رزقها كان يأتيها من الجنة.

الوجه الرابع: في تفسير القبول الحسن، أن المعتاد في تلك الشريعة أن التحرير لا يجوز إلا في حق الغلام حين يصير عاقلاً قادراً على خدمة المسجد، وهاهنا لما علم الله تعالى تضرع تلك المرأة قَبْلَ تلك الجارية حال صغرهما وعدم قدرتها على خدمة المسجد، فهذا كله هو الوجوه المذكورة في تفسير القبول الحسن^(١)، وليس من بين هذه الأوجه ما يتأوله النصارى.

ويمكن أن يُستنبط من قوله تعالى: ((وذريتها)) بأن الآية دالة على أن المسيح بشر قابل للأبوة البشرية، وأن يكون له ذرية بالتوالد البشري، لأن الذرية تشمل الابن والبنات ومن تحتهما، جاء في القاموس المحيط: (الذرية مثلثة لنسل الثقلين)^(٢).

بل إن العصمة من الخطأ - على فهمهم - أمرٌ ينال بالاجتهاد، كما في قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا) ولا شك أن هذه المعاني كلها غير صحيحة، ولم يقل بها أحدٌ من الأئمة، فلم يبقَ إلا القول بأن الرِّكَّاء الوارد في عيسى - عليه السلام - وغيره في القرآن الكريم لا يراد به العصمة المطلقة، وإنما هو رِّكَّاء من الخصال الذميمة، واتصافه بالصفات الحميدة دون لزوم العصمة من ذلك، والله أعلم.

المسلك الثاني: الرد على زعمهم أن طلاقة القدرة الإلهية في ولادته دليل ألوهيته

إن ما حدث لعيسى عليه السلام من أول خلقه وحتى نهاية تبليغ رسالته يعد أمرًا خارقًا غير معهود للبشر؛ فإن المسلم يؤمن بأن ما يتعلق بالسيد المسيح هو مجرد إظهار طلاقة قدرة الله عز وجل في خلقه، ولا يوصلنا ذلك إلى أن نجعله إلهًا أو أن تنسب شخصيته للإله أو ما شابه ذلك من قبيل الشرك والكفر بالله.

ومع إيماننا بقصة ميلاده - عليه السلام - الواردة في القرآن وأنها تمت بطريقة معجزة؛ إلا أن هذا لا يتعارض مع يقيننا بأن عيسى عبد الله ورسول من عنده.

وأما عن كون مولده معجزة، يقول ابن القيم: "وإن قلتم استدللنا على كونه إلهًا بأنه أحيا الموتى ولا يحييهم إلا الله فاجعلوا موسى إلهًا آخر؛ فإنه أتى من ذلك بشيء لم يأت المسيح بنظيره ولا ما يقاربه، وهو جعل الخشبة حيوانًا عظيمًا ثعبانًا، فهذا أبلغ وأعجب من إعادة الحياة إلى جسم كانت فيه أولًا، فإن قلتم هذا غير إحياء الموتى، فهذا اليسع النبي أتى بإحياء الموتى، وهم يقرون بذلك، وكذلك إيليا النبي أيضًا أحيا صبيًا بإذن الله، وهذا موسى

(١) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن. التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط٣، (١٤٢٠هـ)، (١٨٦/٤٠).

(٢) الفيروزآبادي، (١٤١٩هـ)، ٥١/١.



قد أحيا بإذن الله السبعين الذين ماتوا من قومه، وفي كتبكم من ذلك كثير عن الأنبياء والحواريين، فهل صار أحد منهم إلهًا بذلك" (١).

والمسلمون لا يجعلون من هذا الميلاد سببًا في بلوغ المسيح مرتبة الألوهية، وأن قصة ميلاد المسيح تضمنت نفي ألوهيته، وإثبات بشريته - عليه السلام - وأنه عبدٌ لله، فقد أخبر تعالى عن المسيح أنه قال: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) (مريم: ٣٠)، فقد أثبت لنفسه العبودية لله، ولو كان إلهًا ما صحَّ أن يكون عبدًا لأحد.

المسلك الثالث: الرد على قوهم مميزات المسيح وخصوصيات دليل ألوهيته

أما بالنسبة للنظر إلى انفراد المسيح دون غيره بمميزات في خلقته وولادته ومعجزاته ونهاية حياته على الأرض كل ذلك ليس مقررًا لأن يكون إلهًا معبودًا، حيث إن الله سبحانه وتعالى يخلق مخلوقاته، ويميز بعضها على بعض، فهو سبحانه وتعالى المميز لا البشر، ومهما ميز الله مخلوقًا، وانفرد دون غيره بشيء فلا يعني أن ذلك التمييز وهذا الانفراد يصل به إلى درجة الألوهية، فلا يدل شكل الحلقة ولا سببه ولا امتياز بعض المخلوقات كالكهباء على ألوهيتها أو حلول الإله الخالق فيها، بل هذا لا يعقل ولا يمكن، فامتياز الأرض على عطارده أو زحل بوجود الأحياء فيها من البشر وغيرهم، لا يعد دليلًا على كون الأرض إلهًا لذلك الكوكب الذي فضلته بهذه الميزة كذلك سنة الله في خلق المسيح ومزايه لا تدل على كونه إلهًا أو ربًا لما وجدت فيه هذه المزاي، لأن المزاي في الخلق كلها بمشيئة الخالق، فلا يخرج بها المخلوقات عن كونه مخلوقًا نسبة إلى خالقه كنسبة سائر المخلوقات إليه تعالى، فليس القرآن الكريم وحده هو الناطق بإبطال ألوهية المسيح سواء في ظاهره كما يدعون أو في ظاهره وباطنه كما نعتقد، بل إن أنجيلهم، وإقرار كتابهم الذي بين أيدينا ناطق بذلك، فقد جاء في إنجيل يوحنا (أَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ»، قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كُنْتُمْ أَوْلَادَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ! وَلَكِنَّكُمْ الْآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُم بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعْتُمْ مِنَ اللَّهِ، هَذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ» (٢)، وفي هذا يقول الإمام الغزالي: "صرح في هذا النص بالإنسانية بقوله، وأنا إنسان كلمتكم بالحق الذي سمعت من الله؛ أي أنا إنسان مثلكم، كما صرح بالرسالة وأنه لا يفعل إلا ما أمر به بقوله، كلمتكم بالحق الذي سمعت من الله، وبقوله "كما أمرني الأب كذلك أتكلّم، وقد صرح بولس الرسول برسالته المحضة التي كتبها للعبرانيين فقال، انظروا إلى هذا الرسول العظيم أصار إيماننا، يا يسوع المؤمن عند مرسله وهو مثل موسى في جميع بيئته" (٣)، وأيضًا جاء في إنجيل لوقا: الإصحاح الرابع والعشرين في الفقرة عشرين (بيسوع النصارى الذي كان نبيًا مقتدرًا في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب، وهو بذلك يقرر تقريرًا صريحًا بأنه نبي إنسان كسائر الأناسي ونبي كسائر الأنبياء، فمن أين جاءوا بألوهيته، أو

(١) ابن القيم. هداية الحيارى. ١٤٩، ١٤٨.

(٢) يوحنا. ٨: ٣٩، ٤٠.

(٣) الإمام الغزالي، الرد الجميل لإهية عيسى بصريح الإنجيل. ٢٦٤.



بنوته لله؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وفي إنجيل متى: (ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلةً من هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل)^(١).

هذا يدل على أن الجموع التي عاصرتة كانت تؤمن بأنه نبي، وليس إلهًا، وهذا بنص الإنجيل فكيف نأتي بعد ذلك بعدة قرون، ويقول بعضنا إنه إله.

وجاء في إنجيل مرقس: (وفي الصبح باكراً جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء، وكان يصلي هناك)^(٢)، لمن كان يصلي المسيح في الصباح الباكر كعادة اليهود؟ وصلاة اليهود بما سجود، فلمن يسجد إن كان هو الله؟، وجاء في إنجيل لوقا: (بَلْ يَنْبَغِي أَنْ أَسِيرَ الْيَوْمَ وَعَدَاً وَمَا يَلِيهِ، لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّرُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجًا عَنْ أُورُشَلِيمَ!)^(٣). فهنا المسيح يخبر عن نفسه بأنه نبي، وأنه يهلك، فهل يكون هو الله ويخادع الناس بقوله، إنه نبي، حاشا لله، فالله لا يخادع، ولا المسيح، ولكن هذا هو الصدق: أنه نبي، يقول أحمد شلي: "تذكر الأناجيل عددًا ضخمًا أحياهم المسيح بعد الموت، أو شفاهم من البرص، أو جعلهم يبصرون بعد العمى، وطبيعة المعجزة غير ذلك، لأنها دليل لإثبات النبوة، ومعنى ذلك أنها تستعمل بضع مرات لتحدي البشر حتى يصدقوا، ولكن ما تذكره هذه الأناجيل غير هذا، إنه أشبه بالتمثيل، أي يميت الله فيحیی عيسى ما أماته الله دائماً، ويقضي الله بالعمى؛ فيهب عيسى الإبصار لكل العميان، فمن أين هذا العدد الكبير من المرضى والموتى والعميان الذين ذكرت الأناجيل أن معجزات المسيح مستهم؟ حتى ليوشك أن يفوق العدد سكان فلسطين جميعاً في ذلك الوقت، وكأن كل السكان مسهم البرص أو العمى فشفاهم عيسى، أو ماتوا فأحياهم"^(٤).

فما وصل إليه المسيح، من تلك الخوارق هي في حقه معجزة، قد أیده الله بما ليتحدى بها قومه الذين أرسل إليهم، فهي أمور خارقة للعادة أظهرها الله على يديه تأييداً له فيما ادعاه من نبوة وتحدياً لليهود الماديين، يقول العقاد: "أما رأينا في إمكان المعجزات فهو رأينا إمكان جميع الأسباب، فإن العقل قاصر عن تحليل الحوادث بأسبابها، وليس من العقل أن يقال: إن هذه الأسباب المسماة بالطبيعة هي العوامل الفعالة في إيجاد الأشياء"^(٥).

فمدعى النصارى بأن المسيح إله مردود عليهم، وذلك من كتبهم التي يعتقدون فيها، فقد جاء في حزقيال (كَانَتْ عَلَيَّ يَدُ الرَّبِّ، فَأُخْرِجَنِي بِرُوحِ الرَّبِّ وَأُنزِلَنِي فِي وَسْطِ الْبُقْعَةِ وَهِيَ مَلَانَّةٌ عِظَامًا، وَأَمَرَنِي عَلَيْهَا مِنْ حَوْطِهَا وَإِذَا هِيَ كَثِيرَةٌ جَدًّا عَلَى وَجْهِ الْبُقْعَةِ، وَإِذَا هِيَ يَا بَسَةً جَدًّا، فَقَالَ لِي: «يَا ابْنَ آدَمَ، أَلْتَحِيَا هَذِهِ الْعِظَامَ؟» فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدُ الرَّبِّ أَنْتَ تَعْلَمُ»، فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأْ عَلَيَّ هَذِهِ الْعِظَامُ وَقُلْ لَهَا: أُيْتِهَا الْعِظَامُ الْيَابِسَةُ، اسْمَعِي كَلِمَةَ الرَّبِّ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهَذِهِ الْعِظَامِ: هَآنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ، وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا وَأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا، فَتَحْيَوْنَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ»، فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أُمِرْتُ، وَبَيَّنَّمَا أَنَا أَنْتَبَأُ كَانَ

(١) متى. ٢١: ١٠.

(٢) مرقس. ١: ٣٥.

(٣) لوقا. ١٣: ٣٣.

(٤) أحمد شلي. المسيحية. مكتبة نضضة: مصر، (١٩٧٨م)، ٤٠.

(٥) عباس العقاد. عقرية المسيح. ١٩٤-١٩٥.



صَوْتُ، وَإِذَا رَعِشُ، فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ، وَنَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وَبُسِطَ الْجِلْدُ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقَ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ، فَقَالَ لِي: «تَنَبَّأَ لِلرُّوحِ، تَنَبَّأَ يَا ابْنَ آدَمَ، وَقُلْ لِلرُّوحِ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلُمَّ يَا رُوحٌ مِنَ الرِّيَّاحِ الْأَرْبَعِ وَهَبْتُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَتْلَى لِيَحْيُوا»، فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَنِي، فَدَخَلَ فِيهِمُ الرُّوحُ، فَحَيُّوا وَقَامُوا عَلَى أَقْدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظِيمٌ جِدًّا جِدًّا»^(١).

فهؤلاء أحيوا بإذن الله أمواتاً، وبعضهم أحيوا جيشاً عظيماً من الأموات، فلم لم يكونوا آلهةً مثل عيسى - تدرجا مع زعم النصارى؟ علماً أن العلة التي ادعاها النصارى والمنصرون لتأليه عيسى هي: إحياء الموتى، وهؤلاء اشتروا مع عيسى عليه السلام في العلة نفسها وأتوا بالأفعال أو المعجزات نفسها، مما يوجب على النصارى - عقلاً الاشتراك مع عيسى في النتيجة نفسها، وهي الألوهية، فعدم تأليه النصارى لمن شارك عيسى عليه السلام في الفعل والعلة (المقدمة الصغرى والكبرى) مكابرة ومعاندة يرفضها العقل، فهي من باب التفريق بين المتماثلات والمتطابقت، لأن تطابق المقدمات مفضٍ لتطابق النتائج، وهذا ما تدل عليه آيات القرآن ونصوص التوراة والأنجيل من أن حصول معجزة إحياء الموتى على يد أحد من البشر وإن كان نبياً أو صالحاً ليس دليلاً على ألوهيته؛ مما يسقط دعوى النصارى في تأليه عيسى لأنه أحيى موتى، إذ تبين أن هذا ليس علة للألوهية حيث أتى بهذا الإحياء من ليس بإله من الرسل والأنبياء بإذن الله، بل ومن ليس من الأنبياء أو الرسل^(٢).

المبحث الثاني: التثليث في القرآن الكريم

المطلب الأول: مسالك النصارى في إثبات التثليث في القرآن الكريم

إن أصحاب الثالث رغم عدم اقتناعهم به وكثرة اختلافهم حوله في جملته وتفصيله، وفي عناصره وأقانيمه، إلا أن الغي والمكابرة دفع بالبعض منهم إلى الادعاء بأن الإسلام وكتابه المنزل على رسوله "القرآن الكريم" لا يعترف بوحدانية الله، بل يؤمن بثالوثهم الإلهي! كما قال شيخ الإسلام "إنهم يريدون أن يحرفوا القرآن كما حرفوا غيره من الكتب المتقدمة وأن كلامهم في تفسير المتشابه من الكتب الإلهية من جنس واحد"^(٣)، وسلكوا في ذلك مسالك

(١) سفر حزقيال. ٣٧، ١: ١٠

(٢) علي بن عتيق الحربي. افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح عليه السلام. ٨٣، ٨٤.

(٣) ابن تيمية. دقائق التفسير، المحقق: د. محمد السيد الجليلند، مؤسسة علوم القرآن: دمشق ط٢، (١٤٠٤)، (٢/ ٩٣).



وذكروا من القرآن الكريم آيات زاعمين أنها تؤيد مذهبهم وعقيدتهم، والإسلام والقرآن منها براء، وفيما يأتي نعرض مسالكهم واستدلالاتهم والرد عليها.

المسلك الأول: التشابه بين البسملة في الإسلام والبسملة في المسيحية

يستدل النصارى على إثبات عقيدة التثليث في القرآن الكريم بالتشابه بين البسملة في القرآن الكريم والبسملة في المسيحية باسم الآب والابن والروح القدس^(١).

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده: إن النصارى كانوا يبتدؤون أدعيتهم ونحوها باسم الآب والابن والروح القدس إشارة إلى الأقانيم الثلاثة عندهم، فجاءت فاتحة كتاب الإسلام بالرد عليهم موقظة لهم بأن الإله الواحد وإن تعددت أسمائه فإنما هو تعدد الأوصاف دون تعدد المسميات، يعني فهو رد عليهم بتغليظ وتبليد^(٢).

المسلك الثاني: كثرة الآيات التي يتحدث فيها عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على التثليث

قال تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} [الأنبياء: ١٦]، وقال تعالى {فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [يونس: ٩٤] فهذه الآيات وغيرها جاءت بصيغة الجمع، وهي تدل على التثليث، يقول حبيب سعيد: "إن الآيات التي يتكلم الله فيها عن نفسه بصيغة المفرد والدالة على الوحدة في القرآن، ليست أكثر مما يتكلم فيها عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على التثليث.

ولا يمكن أن يقال إن ضمير الجمع للتعظيم، فهل هو جل جلاله يعظم نفسه أحياناً، ولا يعظمها أحياناً أخرى، بل إن المفرد دلالة على الوحدة، والجمع على التثليث"^(٣).

المسلك الثالث: القول بفطرية التثليث بدليل وجوده في الأمم السابقة

يقول حبيب سعيد: ولم أذكر وجود هذه العقيدة التثليث عند غير المسيحيين؛ أي الوثنيين إلا للدلالة على أن مصدرها واحد وهو الله نفسه، وبذلك يفهم من قولهم إنهم يقولون بفطرية التثليث بدلالة وجوده في الأمم القديمة.

المسلك الرابع: ورود كلمات (الله، كلمته، روحه) في القرآن كما وردت في الإنجيل

يقولون إن القرآن وصف بأنه كلمة الله وجعلوا المسيح عليه السلام - نفس الكلمة، واعتقدوا أن المسيح "هو" كلمة الله التي خرجت من الذات - أي من الله - فصارت ابناً للذات، وصارت الذات أباً للكلمة، وصارت كل من الذات والكلمة أقتومًا قائمًا بذاته يدعى الأول (الله الآب) ويدعى الثاني (الله الابن)^(٤)، كما في قوله تعالى

(١) حبيب سعيد. أديان العالم. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية: بالقاهرة، ٢٨٦.

(٢) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر: تونس، (١٩٨٤هـ)، (١/١٥١).

(٣) حبيب سعيد. أديان العالم. ٢٨٥.

(٤) محمد مجدي مرجان. الله واحد أم ثلاث. ١٠٤.



{ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } [آل عمران: ٤٥].

يقول حبيب سعيد: "إن اعتقاد المسلم السني بالقرآن هو نفس اعتقاد المسيحي بالمسيح، فهو كلمة الله - أي عيسى غير المخلوق، وإنما جسده مخلوق" (١)، وأما الروح فيقصدون بها حياة الله، روحه منفصلة عن ذاته (٢) واستدل لذلك بقوله تعالى {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ١٠٢].

المطلب الثاني: الرد على ادعاء النصارى بثبوت التثليث في القرآن الكريم

المسلك الأول: الرد على قولهم بتشابه البسملة في الإسلام والمسيحية

أما بالنسبة للبسملة في الإسلام، فليس فيها أي دلالة على التثليث النصراني المزعوم، فمن يستوعب المعاني يتضح له أن لفظ الجلالة علم على الذات الإلهية، والرحمن الرحيم صفتان للذات، وهذا أمر معلوم.

يقول القمص باسيلوس إسحق: "إن البسملة الإسلامية، وهي بسم الله الرحمن الرحيم، تؤيد التثليث، فالله هو الأب، والرحمن هو الابن، والرحيم هو الروح القدس" ونحن إذا تابعنا هذا الرأي فإنه يمكن الاستدلال من القرآن، ليس فقط على التثليث، بل على التسبيح ووجود سبعة آلهة، وليس ثلاثة، وذلك بما ورد في أول سورة غافر بل يمكن أيضًا أن يجرفنا ذلك، فنقرر أن القرآن يثبت وجود سبعة عشر إلهًا! وذلك بما ورد في آخر سورة الحشر التي ورد بها سبعة عشر اسمًا وصفةً من الصفات التي يتصف بها الرحمن، والتي لا يحصيها بيان.

المسلك الثاني: الرد على شبهة ورود صيغة الجمع الدالة على التثليث

ونحن لا نسلم لكم بأن الآيات التي يتكلم الله فيها عن نفسه بصيغ الجمع تدل على التثليث، فضمير الجمع هنا للتعظيم، وليس للتثليث، وهذا أسلوب معلوم في اللغة العربية، وهو أيضًا عرف تداول بين الناس ألا ترى أن الملك أو رئيس الدولة عندما يصدر قرارًا يقول لقد قررنا أو أصدرنا، هل معنى ذلك أن المتكلم أكثر من واحد بالطبع لا، ولكنه يقصد بذلك نفسه، وذلك أنه يزيل القرار بتوقيعه واسمه المفرد. وأما قولهم إن الضمير هنا يدل على الجمع الدال على التثليث، فنقول فلماذا لا يدل على التثنية أو أكثر من ثلاثة لأن أقل الجمع اثنان وأكثره لا نهاية له.

(١) حبيب سعيد. أديان العالم. ٢٨٧.

(٢) ابن تيمية. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. (٤ / ٦٥)



المسلك الثالث: الرد على قولهم بفطرية التثليث

لو كانت عقيدة التثليث عقيدة صحيحة منزلة من الله عز وجل؛ لدعى إليها الأنبياء السابقون قبل عيسى عليه السلام - أمثال: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسى - عليهم السلام، بل هذه العقيدة مستقاة من عقولهم وأهوائهم، ومن الوثنيات القديمة اقتبست تعاليمها. ويرد عليهم أيضًا بأن العقائد الباطلة مصدرها شياطين الجن والأانس، وليست من الله تعالى، ولو كانت من الله تعالى كما زعم حبيب سعيد في نصه السابق؛ لكان الثالوث في جميع الأمم المثلثة واحدًا، واختلافها وتعددتها دليل على بطلان قوله ومجافاته الحق.

يقول الملكاوي: "إن إصرار النصارى على الاستدلال بفقرات من كتاب العهد القديم على التثليث فيه اتهام لموسى وسائر الأنبياء من بني إسرائيل عليهم السلام؛ أنهم ما كانوا يعرفون الدين الصحيح، أو أنهم عرفوه لكنهم كتموا قومهم أهم العقائد التي تتوقف عليها نجاتهم في الدنيا والآخرة، ولو كانت العقائد التي تتوقف عليها النجاة تفهم بالاستنباطات المعقدة والتأويلات البعيدة؛ لكان اليهود هم أول من اعتقد التثليث دون خوف من أحد"^(١).

المسلك الرابع: الرد على قولهم بورود كلمات (الله، كلمته، روحه) في القرآن كما وردت في الإنجيل

نقول نعم كلا اللفظين (كلمته وروحه) وردا في القرآن الكريم لكن مع اختلاف معنى الكلام ومقصودة، ورد في القرآن أن المسيح عليه السلام كلمة الله، ولكن المقصود من الكلمة هي كلمة التكوين كن فيكون التي يخلق الله بها جميع الخلق، فالمسيح عليه السلام كلمة الله؛ أي أن الله خلقه بكلمة التكوين كن فيكون كما قال اللطين كن فكان آدم عليه السلام وجميع خلقه بكن من الله فيكون، قال تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٥، ٤٦، ٤٧]، وقال تعالى ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤، ٣٥] فمعنى عليه السلام - خلق بالكلمة، ومكون بالكلمة "كن فيكون" فهذا تفسير كونه كلمة الله.

وليست الكلمة هي الخالقة؛ لأن الكلام صفة لا تكون ذاتًا قائمة بنفسها خالقة، فالله سبحانه وتعالى يخلق بقدرته ومشيبته وكلامه، وليست صفاته هي الخالقة^(٢).

وأما قول حبيب سعيد: إن اعتقاد المسلم السني بالقرآن هو نفس اعتقاد المسيحي بالمسيح، فهو كلمة الله - أي عيسى - عليه السلام - غير المخلوق، وإنما جسده مخلوق.

(١) بشرية المسيح ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم في نصوص كتب العهدين. ٩٠.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. (٤٩/٤).



ويجاب عن مثل هذا الكلام: "بأن المسيح نفسه ليس هو كلامًا، فإن المسيح إنسان، وبشر مولود من امرأة، وكلام الله ليس بإنسان ولا بشر، ولا مولود من امرأة، ولكن المسيح خلق بالكلام، وأما القرآن فهو نفسه كلام الله، فأين هذا من ذاك؟

وقد قيل: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وما من عاقل إذا سمع قوله - تعالى - في المسيح عليه السلام -: أنه كلمته ألقاها إلى مريم، إلا ويعلم أنه ليس المراد أن المسيح نفسه كلام الله، ولا أنه صفة الله، ولا خالق، وأما الروح؛ فإن القرآن قصد بها الملك الذي هو روح اصطفاه الله فأحبها، كما قال في القرآن: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم: ١٧] (١٧) {قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَفْسًا} [مريم: ١٨] (١٨) {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} [مريم: ١٩].

فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهَا رُوحَهُ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ رَسُولُهُ، فَعُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالرُّوحِ مَلَكٌ، هُوَ رُوحُ اصْطِفَاةَا فَاصْطَفَاهَا إِلَيْهِ، كَمَا يُضَافُ إِلَيْهِ الْأَعْيَانُ الَّتِي خَصَّهَا بِخَصَائِصٍ يُحِبُّهَا، كَقَوْلِهِ: {نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} [الشمس: ١٣]، وَقَوْلِهِ: {وَوَهَبْنَا بَيْنَ اللَّطَائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرَّكْعِ السُّجُودِ} [الحج: ٢٦] وَقَوْلِهِ: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} [الإنسان: ٦]، والمضاف إلى الله إن كان صفة لم تقم بمخلوق كالعلم والقدرة والكلام والحياة، كان صفة له، وإن كان عينًا قائمة بنفسها أو صفة لغيره، كالبيت والناقة والعبد والروح، كان مخلوقًا مملوكًا مضافًا إلى خالقه ومالكه، ولكن الإضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميز بها عن غيره، حتى استحق الإضافة، كما اختصت الكعبة والناقة والعباد الصالحون بأن يقال فيهم (بيت الله) و(ناقة الله) و(عباد الله)، كذلك اختصت الروح المصطفاة بأن يقال لها روح الله^(١).

وردًا على ما يقول النصارى من أن المسيح ابن الله، فقد قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزَبَ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتِلِهِمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣٠، ٣١] فهذا هو القرآن الكريم - الذي تستدلون بكلامه - يدعو إلى التوحيد، بل إنه يصف من يقول: إن المسيح ابن الله بالكفر، ولكن إذا احتاج ضوء النهار إلى دليل، فلا يثبت في الأذهان شيء، قال تعالى {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: ٤٦] ثانيًا: أصل الإشكال عند النصارى في هذه الآية هو عدم فهمهم وإدراكهم النص القرآني، واعتمادهم على منهج الانتقائية في الاستدلال بآيات القرآن.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية. (٣/ ٢٤٩).



وفي القرآن الكريم آيات بينات تؤكد بشرية المسيح، وتدعو إلى التوحيد قوله تعالى {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ {المائدة: ٧٢- ٧٧}، وفي القرآن أيضًا تبرأ عيسى عليه السلام مما يزعمه النصارى عليه زورًا وبهتانًا بوصف الإلهية، وإنما هو رسول الله جاء بدعوة التوحيد، يشهد عليهم مدة حياته فيهم، والله عز وجل هو الرقيب، وهو على كل شيء شهيد. وقال تعالى {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: ١١٦، ١١٧].



المبحث الثالث: استدلال يوسف الحداد بالقرآن الكريم على العقيدة النصرانية والرد عليه، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التعريف بيوسف الحداد

الأب يوسف درة الحداد والمعروف أيضًا بـ "الأستاذ الحداد" ولد في (١٩١٣) في بلدة (بيرود - القلمون) سوريا، وتوفي في (١٩٧٩) في لبنان، ومن خريجي إكليريكية القديسة حنة (الصلاحية) في القدس، حَدم في أبرشيته حمص وبعلمك في سنة (١٩٣٩)، ثم انقطع زهاء عشرين سنةً للبحث والكتابة في حقل استهواه منذ أيام التلمذة، حقل الشؤون القرآنية على وجه عام، والمعضلات الإسلامية المسيحية، والدراسات الإنجيلية والكتابية على وجه خاص^(١).

المطلب الثاني: منهجه الفكري في الاستدلال بالقرآن على العقيدة النصرانية

اتخذ يوسف الحداد منهجًا فريدًا، مختلفًا في استدلاله بالقرآن الكريم على العقيدة النصرانية، هذا المنهج يعتمد على مسلكين، أحدهما: الوقوف على الأمور المشتركة بين الإسلام والنصرانية والاستدلال بآيات القرآن الكريم على ذلك، والمسلك الآخر: تحرير محل الخلاف.

المسلك الأول: الوقوف على الأمور المشتركة بين الإسلام والنصرانية:

الوقوف على الأمور المشتركة بين الإسلام والنصرانية، ويستدل على ذلك بآيات القرآن الكريم، ويطلب النفس في ذلك حتى أنك وأنت تقرأ عن القواسم المشتركة، تكاد تقتنع أن هذا الكاتب مسلمٌ، فهو يقرر كل ما جاء في القرآن عن المسيح وأمه، وينقل بك بين آيات القرآن الكريم مبيّنًا ومفصّلًا ذلك بسلاسة ويسر في كتابه "الإنجيل في القرآن" يقول في مقدمة كتابه "القرآن والإنجيل": "ما جاء في القرآن الكريم عن المسيح والإنجيل والنصارى والكتاب عامة مفخرة للمسلمين والنصارى فيلبي بكل مؤمن بالله واليوم الآخر أن يطلع عليه، هذا ما أردنا أن نقوله في هذا الكتاب الأول من سلسلة دراستنا التي نقدمها لأبناء الشرق العربي"^(٢) ثم هو يأخذك في استطراد طويل يعرض فيها آيات القرآن الكريم ليقول إن الرسالة النبوية واحدة عن جميع الأنبياء، والدين واحد في جميع الكتب ومع جميع الأنبياء، وذلك في حديثه عن عيسى عليه السلام وأمه مريم، ويأخذك من هذه المسلمات لينتقل بك لما يريد أن يقرره، ويلخص ما توصل إليه من نتيجة قائلًا: "ما نتيجة هذا البحث الطويل؟ الآن نوجزها في كلمتين: إحداهما: إن القرآن الكريم يعلن أن الله واحد، والوحي من آدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى عيسى إلى محمد واحد، والكتاب الذي أنزله مع النبيين واحد، وإن تنوعت وتعددت النسخ، والرسالة واحدة، والإيمان المشترك بين الجميع واحد، والدين، أي الإسلام، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر واحد، ويجعل المساواة تامة بين قيمة القرآن والكتاب، إذ يعدُّ الكتب كلها نسخًا متساويةً للكتاب الأزلي الواحد، فهو يبشر بوحدة الدين المنزل،

(١) البولسي، جورج فاخوري، ذيل كتاب الإنجيل في الكتاب للقس درة الحداد، تحت عنوان: مجموعة الأستاذ الحداد القرآنية والإنجيلية.

(٢) يوسف درة الحداد، دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن، منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط٣، (١٩٩٣م)، ٢٧.



وإن اختلفت الشرائع وطرق العبادة من كتاب إلى كتاب، ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا، ولو شاء الله جعلكم أمةً واحدةً على شريعة واحدة، ولكن فرقناكم أُممًا، ليس للفرقة الدينية، بل للتنافس في الخير والفضيلة والصلاح. الثانية: أن القرآن الكريم خلافًا لما يظنه بعض الجهلة من المسيحيين والمسلمين لا يعدُّ أهل الكتاب أعداء دين على الإطلاق وما أمر قط بقتالهم كأعداء دين، بل عندما توسم محمد في الفاسقين منهم خطرًا سياسيًا أو اجتماعيًا على الدولة الإسلامية؛ فطلب من أمته وفرض عليهم في وصيته الأخيرة إخضاع أهل الكتاب للدولة الإسلامية لا للدين الإسلامي كالمشركين، حرصًا على وحدة الدولة الناشئة، فلا يعدُّ القرآن أهل الكتاب مشركين أو كافرين أو أعداء دين، بل مسلمين موحدين كما أجاب وفد نجران النبي (إنا كنا من قبله مسلمين)^(١) وهو ينتقل بك بين بعض المسلمات من يدس السم في العسل بأفكار قد لا يتوقف أمامها القارئ العادي لكنه يجعلها من المسلمات ويلوي عنق النصوص للاستدلال على ما يريد، فمن ذلك:

- القرآن يشهد بصحة الكتاب الموجود في زمانه، لكن ماذا عن الكتاب الموجود في زماننا؟! لا يتعرض لهذا، وأما عن تحريف الكتاب المقدس، فبعد عرضه الآيات القرآنية في الحديث عن التحريف فيقول: "فيقصد بما اليهود وتوراتهم، ولا يقصد بما إطلاقًا النصارى وإنجيلهم"^(٢)!

- ومن ذلك أيضًا ادعاؤه أن القول بنسخ القرآن للإنجيل والتوراة زعم باطل، هذا الزعم لا أساس له في الإنجيل ولا أساس له في القرآن: "فالقول بأن القرآن نسخ شريعة الكتاب فرية على الاثنين: روح القرآن ونصه يقضيان عليها قضاءً مبرمًا: ففرضية القرآن تؤكد وحدة الإيمان، ووحدة الشريعة الأساسية، مع اختصاص واختلاف في الأحكام الثانوية لكل من اليهود والنصارى والمسلمين؛ وقد صرح ببقاء شريعة الإنجيل والتوراة ملزمة لأهلها، كما أعلن أن أحكام القرآن لا تلزم سوى أهله"^(٣).

وهكذا في كثير من المسائل يأخذ من الآيات ما يقرر به ما يريد أن يصل إليه، موهماً القارئ العادي أن هذا منطوق النص ومفهومه، فيقول: "وهكذا فقد شهد القرآن بصحة الكتاب المقدس؛ أي التوراة والإنجيل وسائر الأسفار وسلامتها من التحريف"^(٤).

المسلك الثاني: تحوير محل الخلاف

يحاول الحداد جاهدًا أن يصور الخلاف خلافًا ظاهريًا، فيقول: "الخلاف خلاف ظاهري لا حقيقي ولا جوهرى لاختلاف وجهات النظر في موضوع الألوهية بين الكتابين القرآن والإنجيل".

(١) يوسف درة الحداد، دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن، منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط٣، (١٩٩٣م)، ١٣٩.

(٢) يوسف درة الحداد، دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن، منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط٣، (١٩٩٣م)، ٨٦.

(٣) يوسف درة الحداد، دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن، منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط٣، (١٩٩٣م)، ٤٤.

(٤) يوسف درة الحداد، دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن، منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط٣، (١٩٩٣م)، ٨٧.



فهو لا ينكر ما جاء من القرآن من آيات لإنكار التثليث وإنكار ألوهية المسيح، بل يستدل بها أيضاً لكنه يرى أن الألوهية التي ينكرها القرآن على المسيح ليست بالتي ينسبها الإنجيل إليه، والتثليث الذي ينكره القرآن ليس بالتثليث المسيحي، والأوصاف التي يصف بها القرآن الكريم المسيح هي أقرب إلى الخالق منها إلى المخلوق.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية ليوسف الحداد للاستدلال بالقرآن على عقائد النصارى والرد عليه ١- مسألة الألوهية:

يرى يوسف الحداد أن ألوهية المسيح هي نقطة الخلاف الكبرى بين النصرانية والإسلام، ويرى أنه الخلاف الوحيد أو يكاد بين الإنجيل والقرآن.

والألوهية التي ينفياها القرآن عن المسيح ليست بالألوهية التي يثبتها الإنجيل له، والبنوة التي يسندها الإنجيل إلى المسيح ليست كالتي ينفياها القرآن عنه.

وإن بنوة عيسى في القرآن تناسلية جسدية، كأن الله اتخذ مريم صاحبة واستولدها عيسى: وذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون: { مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [مريم: ٣٥]، والقرآن على حق حين يسمي مثل هذه الولادة السمجة، منسوبة إلى الله، إفكاً: وما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام! { انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ } [المائدة: ٧٥]، والقرآن على حق في أن بنوة عيسى في الإنجيل ليست تناسلية وليست معنوية، بل هي بنوة روحية محضة من ولادة عقلية محضة، ويقرر ذلك فيقول: "إن ألوهية عيسى التي ينكرها القرآن تستند إلى هذه البنوة الجدية والولادة التناسلية، ومن ثم فلا بدع أن يثور ويصيح: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [المائدة: ١٧] كأن الإنسان ابن مريم صار الله !! أو كأن الله استحال عيسى ابن مريم؛ لذلك ينزه القرآن المسيح عن ادعاء تأليه كهذا: { مَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } [آل عمران: ٧٩]؛ فحسب المسيح فخراً أن يكون عبداً لله لن يستنكف المسيح^(١).

الرد على يوسف الحداد:

- قول الحداد "إن الألوهية التي ينفياها القرآن عن المسيح ليست بالألوهية التي يثبتها الإنجيل له، والبنوة التي يسندها الإنجيل إلى المسيح ليست كالتي ينفياها القرآن عنه"^(٢)، اعتراف ضمني بأن هناك قولاً بالألوهية والبنوة عند النصارى، وهذا معروف ولا ينكره أحد، لكنه يراوغ في تفسيره لمقصود ذلك في الإنجيل.

(١) يوسف درة الحداد، دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن، منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط ٣، (١٩٩٣)، ١٣

(٢) يوسف درة الحداد، دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن، منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط ٣، (١٩٩٣)، ٣٥٢



يحاول يوسف الحداد أن يوجه كل الآيات التي تتحدث عن نبوة عيسى المقصود بها تناسلية جسدية، وهذا ما ينكره القرآن، والقرآن على حق في هذا، أما ما يقصده الإنجيل أنها نبوة روحية محضة من ولادة عقلية محضة. وهذا تضليل وتزييف بين، فهو يلجأ إلى أسلوب المراوغة فيقول: والألوهية التي ينفيها القرآن عن المسيح ليست بالألوهية التي يثبتها الإنجيل له، والنبوة التي يسندها الإنجيل إلى المسيح ليست كالتي ينفيها القرآن عنه، وهو يرى أن علاقة المسيح بالله ليست علاقةً عاديةً، ومن كلامه ما يؤكد ذلك، فهو يقول في خاتمة كتابه "الإنجيل في القرآن": "فالمسحة السرية، والكلمة من الله، وروح الله، نعي صلة ذاتية حقيقية لا مجازية، بين المسيح والله دون العالمين أجمعين"^(١).

- أما ما يقوله الحداد بأن النبوة روحية محضة من ولادة عقلية محضة، فهذا ليس ما يعتقده النصارى. يقول ابن تيمية: "وذكر طوائف من المتكلمين كابن الزاغوني عنهم أنهم جميعاً يقولون بالاتحاد والحلول، لكن الاتحاد في المسيح والحلول في مريم، فقالوا: اتفقت طوائف النصارى على أن الله جوهر واحد لثلاثة أقانيم وأن كل واحد من الأقانيم جوهر خاص يجمعها الجوهر العام، وذكروا اختلافاً بينهم ثم قالوا وزعموا أن الجوهر هو الأب والأقانيم الحياة، وهي روح القدس والعلم والقدرة، وأن الله اتحد بأحد الأقانيم الذي هو الابن بعيسى ابن مريم. كان مسيحاً عند الاتحاد لاهوتياً وناسوتياً حمل وولد ونشأ وقتل وصلب ودفن ثم ذكروا يعقوبية والنسطورية والملكية"^(٢).

- أن تفسير قولهم في عيسى -عليه السلام- بينته الآية الكريمة بأنه مضاهاة لقول الذين كفروا، قال تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ الَّذِي يُؤْفِكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١] ورجح ابن تيمية قولهم كقول الصابئة فقال "فلعله الصابئون المشركون الذين كانوا قبل موسى والمسيح بأرض الشام ومصر وغيرها الذين يجعلون الملائكة أولاداً له"^(٣).

وهذا الغلو لدى النصارى حتى اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ذكروا أن أول من ابتدعه لهم بولس الذي كان يهودياً فأسلم واتبع المسيح نفاقاً ليلبس على النصارى دينهم فأحدث لهم مقالات غالية وكثرت البدع في النصارى في اعتقاداتهم وعباداتهم كما قال تعالى ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٧]^(٤).

(١) يوسف درة الحداد، دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن، منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط٣، (١٩٩٣)، ٤٢٢

(٢) ابن تيمية، الفتاوى، (٥٨٦/٦)

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، (٤٤٠/٢).

(٤) ابن تيمية، جامع الرسائل، المحقق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء: الرياض، ط١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).



٢- مسألة التثليث:

يرى يوسف الحداد أن التثليث الذي ينكره القرآن غير التثليث المسيحي الذي يعلمه الإنجيل، كل من الإنجيل والقرآن يقصد غير ما يعنيه الآخر، والمسيحيون يعتقدون غير ما ينكر المسلمون.

فيرى أن التثليث في التوحيد الخالص: يقول: "فالروح اسم وحقيقة للمحبة المتبادلة في ذات الله؛ والابن اسم وحقيقة ثمرة القوة العاقلة في جوهر الله؛ والآب اسم وحقيقة المصدر، وهاتان الثمرتان في الذات الإلهية الواحدة، وهكذا فالآب والابن والروح جوهر واحد، طبيعة واحدة، ذات مهمة واحدة، هو الله لا إله الا هو، ومن ثم فإذا بشر الإنجيل بالتثليث ضمن الطبيعة الإلهية الواحدة، فهو لا يجعل مع الله إلهًا آخر، ولا يجعل الله ثالث ثلاثة، ولا يجعل الله ثلاثة آلهة، بل هو تثليث علاقات أفنومية قائمة في الذات الإلهية الواحدة، هو تثليث في التوحيد الخالص"^(١).

ويضيف قائلاً: "لقد ثبت لنا بالنقل والعقل أن التثليث المسيحي الذي يعلمه الإنجيل ويدين به النصارى لا يناهي التوحيد، بل يعتمد عليه، وهو من طلبه، وهو تفسير الحي القيوم، في ذاته، لا إله إلا هو سبحانه وتعالى، فالتثليث المسيحي إذن هو من صميم وحدانية الله، في وحدة الذات الإلهية"^(٢).

تفسيره التثليث في القرآن:

أما في القرآن؛ فقد رأيت أن التثليث الذي يذكره في تعابيره الأربعة: الثلاثة (النساء: ١٧٠) والله ثالث ثلاثة (المائدة: ٧٦) والله هو المسيح ابن مريم (المائدة: ٧٥) وعيسى وأمه إلهان من دون الله (المائدة: ١١٩) يعود إلى نكران وحدانية الله، وتعدد الذات الإلهية، وإيجاد ثلاثة آلهة، أي إلهان غريبان مع الله هما الإنسان عيسى ابن مريم وأمه، وهذا التثليث القرآني كفر محض ينكره الإنجيل كما ينكره القرآن، لأنه يعني "تأليه، عيسى وأمه واتخاذها إلهين من دون الله، والإنجيل لا يعرف اتخاذًا ولا تأليهاً، فقول كهذا يعني ثلاثة آلهة، وتعدد الذات الإلهية، مما لا أثر له في الإنجيل ولا في اعتقاد النصارى".

لذلك فالتثليث الذي ينكره القرآن، ليس بالتثليث المسيحي، فلا النصارى يؤمنون ولا الإنجيل علم ولا المسيح قال للناس (اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) (المائدة: ١١٩).

"فهذه الصفات والنعوت والألقاب والأسماء التي اختص بها القرآن المسيح دون سواه من الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين، تجعل المسيح في صلة شخصية وحيدة عقلية وروحية؛ وخاصة مع الله، ومهما قالوا في تفسيرها، فهي ترفع المسيح فوق العالمين، من صفة المخلوقين إلى هالة اللاهوت بهذه الألقاب النبوية، والألقاب الإلهية، جعل القرآن عيسى ابن مريم مسيح الله وكلمة الله وروح الله (نساء: ١٧٠) آية في شخصه: (وجعلنا ابن مريم - وأمه - آية المؤمنون ٧١).

(١) يوسف درة الحداد، دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن، منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط٣، (١٩٩٣)، ٣٧٥.

(٢) يوسف درة الحداد، دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن، منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط٣، (١٩٩٣)، ٣٧٦.



وردًا على سؤال يطرحه: هل من تثليث في القرآن؟

يقول: "لا جرم أن القرآن ينتفض عند هذا السؤال، ويجيب: "قل هو الله أحد، الله الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤًا أحد ! " بيد أن القرآن الكريم ينفي (الاثنين) (النحل: ٥١)، وينفي (الثلاثة) مع وحدة الذات الإلهية (نساء: ١٧٠) التي تتعارض مع وحدة الجوهر الإلهي الفردي؛ ولا يفكر البتة في حياة الحي القيوم الداخلية وتفاعلها وتسلسلها، إنما هناك آية تدل على أنه إذا كان في الجوهر الإلهي الواحد بنوة لا تناقضه، فهو يقبل بما: "قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين" (الزخرف: ٨١) وبناء عليه، فهل يرفض القرآن إلهية الكلمة وإلهية الروح إذا كانت ضمن لاهوت الجوهر الإلهي الواحد؟ هل تراه يرفضها إذا كانت الكلمة الأولى عبارة عن الفكر الجوهري، ثمرة القوة العاقلة في الذات الإلهية الواحدة، وكان الروح القدس عبارة عن ثمرة الحب الجوهري في الذات الإلهية الواحدة؟ لا نظن؛ فإن لقب الكلمة في القرآن يحمل معنى إلهيًا، لأن الكلمة، الملقى إلى مريم هو شخص له اسمه الخاص، وكان قبل إلفائه إليها، وهذه الكلمة هي روح منه تعالى، وروح الله، يصدر منه، ويبقى معه في كامل الوحدة الجوهرية (النساء: ١٧٠)"^(١).

الرد على الحداد في القول بالتثليث:

- لا نسلم للحداد بقوله إن التثليث الذي ينكره القرآن غير التثليث المسيحي الذي يعلمه الإنجيل. فالنصارى يطلقون على مصطلحات الآب والابن والروح القدس تعبير الثالوث القدوس، ويعترف كثير منهم أن هذا التعبير ليس موجودًا في الكتاب المقدس^(٢)، كما يطلق النصارى على هذه المصطلحات لفظ أقانيم اللاهوت.

ويعترف النصارى أن كلمة التثليث أو الثالوث الأقدس لم ترد في الكتاب المقدس، وأن إيمان الكنيسة بلاهوت المسيح هو الدافع لإقرار عقيدة التثليث، يقول قاموس الكتاب المقدس: في طبيعة هذا الإله تظهر ثلاث خواص أزلية، يعلنها الكتاب في صورة شخصيات أقانيم متساوية. ومعرفتنا بهذه الشخصية المثلثة الأقانيم ليست إلا حقا سماويًا أعلنه لنا الكتاب في العهد القديم بصورة غير واضحة المعالم، لكنه قدمه في العهد الجديد واضحًا، ويمكن أن نلخص العقيدة في هذه النقاط الآتية:

- الكتاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعدهم شخص الله.
- هؤلاء الثلاثة يصفهم الكتاب بطريقة تجلعهم شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى.
- هذا التثليث في طبيعة الله ليس مؤقتًا أو ظاهريًا، بل أبدي وحقيقي.
- هذا التثليث لا يعني ثلاثة آلهة، بل إن هذه الشخصيات الثلاث جوهر واحد.
- الشخصيات الثلاث الآب والابن والروح القدس متساوون.

(١) يوسف درة الحداد، دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن، منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط٣، ٤٠٦.

(٢) ر. ك. سبرول، حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي، ترجمة نكلس نسيم سلامة، دار الطباعة: مصر الجديدة، ط٢، ٣٩.



- لا يوجد تناقض في هذه العقيدة بل بالأحرى إنها تقدم لنا المفتاح لفهم باقي العقائد المسيحية. ولقد كان يقين الكنيسة وإيمانها بلاهوت المسيح هو الدافع الحتمي لها لتصوغ حقيقة التثليث في قالب يجعلها المحور الذي تدور حوله كل معرفة المسيحيين بالله في تلك البيئة اليهودية أو الوثنية وتقوم عليه. والكلمة نفسها (التثليث أو الثالوث لم ترد في الكتاب المقدس، ويظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد ثم ظهر سيبيولوس ببدعته في منتصف القرن الثالث، وحاول أن يفسر العقيدة بالقول: (أن التثليث ليس أمرًا حقيقيًا في الله، لكنه مجرد إعلان خارجي، فهو حادث مؤقت وليس أبدياً) ثم ظهرت بدعة آريوس الذي نادى بأن الأب وحده هو الأولي بينما الابن والروح القدس مخلوقان متميزان عن سائر الخليفة، وأخيرًا ظهر أثناسيوس داحضًا هذه النظريات وواصلًا أساس العقيدة السليمة التي قبلها واعتمدها مجمع نيقية في عام (٣٢٥) ميلادية^(١).

ولقد تبلور قانون الإيمان الإثناسيوسي على يد أفسطينيوس في القرن الخامس، وصار القانون عقيدة للكنيسة الفعلية إلى يومنا هذا^(٢).

مما سبق يتبين أن الفرق النصرانية المعاصرة تجمع على القول بأن الإله إنما هو واحد من ثلاثة أقانيم، وتجمع أيضًا أن أول هذه الأقانيم هو الأب، وثانيها هو الابن، وثالثها هو روح القدس، والثلاثة إله واحد. لكن هذه الفرق تختلف اختلافًا بيّنًا في تحديد طبيعة المسيح، فلقد صدر عن مجمع نيقية تأليهه، ثم حار النصارى في تحديد ماهية هذه الألوهية.

- وأما قوله والإنجيل لا يعرف اتخاذًا ولا تأليهاً، فقول كهذا يعني ثلاثة آلهة، وتعدد الذات الإلهية، مما لا أثر له في الإنجيل ولا في اعتقاد النصارى.

استخدم بولس هذا اللقب لأول مرة، في رسالته إلى غلاطية: (مع المسيح صلبت، وفيما بعد لا أحيأ أنا بل المسيح يحيا في، أما الحياة التي أحيأها الآن في الجسد، فإنما أحيأها بالإيمان في ابن الله الذي أحبني وبذل نفسه عني)، ويقرر بولس على أن بنوية المسيح تستلزم قيامته، فالقيامه بقوة الروح دليل على البنوية، ويؤكد على الارتباط الفكري بين القيامة والبنوية بما جاء في أعمال الرسل: (وها نحن الآن نبشركم بأن ما وعد الله به آباءنا قد أتمه لنا نحن الأبناء، إذ أقام يسوع من الموت وفقًا لما كتب في المزمور الثاني أنت ابني أنا اليوم ولدتك^(٣)).

- وفي الختام: يمكننا القول إن يوسف الحداد يحاول أن يتخذ من آيات القرآن الكريم منطلقًا للتوفيق بين القرآن الكريم والإنجيل، يقول: "تلك هي بعض الأبحاث عن الكتاب والإنجيل في القرآن، فيها كل ما من شأنه أن يجمع

(١) موسى يعقوب، عقائد الكنائس النصرانية حول شخص المسيح ورسالته دراسة تحليلية مقارنة بين الكتاب المقدس والقرآن، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية.

(٢) بطرس عبد الملك؛ آخرون، قاموس الكتاب المقدس، دار مكتبة العائلة: بيروت، لبنان، ط ٢ (٢٠١١م)، ٢٣٢.

(٣) أعمال الرسل. ١٣-٣٢-٣٣.



ويؤلف بين أهل الكتاب وأهل القرآن، فإن ما حفظ القرآن عن المسيح والإنجيل والنصارى مفخرة للمسلمين والمسيحيين إذا تجردوا عن تفاسير الشحنة والبغضاء^(١).

وهي محاولة بائسة لأنها بين كتاب تعهد الله بحفظه فقال { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩]

وكتاب ناله من التزييف والتحريف ما الله به عليم.

فهي محاولات للتوفيق بما يسمى التوفيق بين الأديان، لكن رب العالمين قال { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [آل عمران: ١٩]: فدين الله واحد.

ونحتم بقول رب العالمين { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (٦٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ } (٦٨) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } (٦٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُكَفِّرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ } (٧٠) } [آل عمران: ٦٤-٧٠].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وبعد: فقد استعرضت في هذا البحث ادعاءات النصارى التي زعموا أنها تدل على أن القرآن يؤيد زعمهم في ألوهية المسيح والقول بالتثليث، فجاء هذا البحث ردًا على شبههم، مما يؤكد فساد معتقدهم، وينفي الشبهة عن ساحة القرآن الكريم، وأنه كتاب رب العالمين { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت: ٤٢].

هذا وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدد من النتائج من أهمها ما يأتي:

نتائج البحث:

- بطلان ما افتراه النصارى على القرآن وكذبهم من أن القرآن يؤيد زعم ألوهية المسيح، بل أن القرآن يثبت ويؤكد بشرية المسيح وعبوديته لله ورسالته إلى بني إسرائيل وعدم ألوهية المسيح سواء في القرآن أو الأناجيل.
- إن المعجزات التي أويدها بها المسيح من قبل الله وإن كانت توهم فعلها فعل الله مثل إحياء الموتى أو شفاء المرضى ليس ذلك مبررًا لأن يعبد المسيح كإله موحى أو شافي للأمراض، فتلك معجزات خرجت إلى حيز الواقع بمشيئة الله وإرادته.

(١) يوسف درة الحداد، دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن، منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط ٣، ٤٢١.



- بطلان محاولة الحداد من تفسير العقائد النصرانية، ومحاولة التوفيق بين القرآن والإنجيل، وبيان ما قدمه من تضليل وتزييف بقوله الألوهية التي ينفيها القرآن عن المسيح ليست بالألوهية التي يثبتها الإنجيل له، والبنوة التي يسندها الإنجيل إلى المسيح ليست كالتي ينفيها القرآن عنه.

- المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وليس هو الله، ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة كما زعمت طوائف النصارى.

ويرى الباحث أن عيسى عليه السلام يقرُّ أنه ليس له أب، وذلك في قوله تعالى ((وبراً بالديني)) [مريم: الآية: ٣٢]، ولو كان له أب لقال ((وبراً بالديني))، وهذه إرادة الله لتتكون المنظومة الرباعية للخلق، حيث خلق الله آدم من تراب، أي بدون أب ولا أم، وحواء من ضلع أعوج في آدم، أي من أب دون أم، وعيسى من أم دون أب، وكلنا من أم وأب، فتبارك الله أحسن الخالقين.

توصيات البحث:

- أوصي بالتصدي لمنهج النصارى ومساعدتهم للتطاول على القرآن، وذلك: بمواجهة هذا الأسلوب بحثياً وعلمياً وإثبات خطأ دعاوى النصارى، وترجمة ما يصلح من الدراسات في هذا الجانب للباحثين.

- يوصي الباحث أن تُصنّف كتب تفسير القرآن ولاسيما المختصرة والمترجمة إلى لغات المسلمين ما يغرس في ذهن القارئ - ابتداءً - الجواب على الشُّبه التي يزعمها النصارى على القرآن وعلى نحو غير مباشر مع عدم ذكر الشبهة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

ابن القيم. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. تقديم أحمد حجازي السقا، المكتبة الرقمية: (١٩٨٧).

ابن تيمية. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. مطبعة المدني: القاهرة.

ابن تيمية. جامع الرسائل. المحقق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء: الرياض، ط ١، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

ابن تيمية. مجموع الفتاوى. المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

ابن حزم، علي بن أحمد. الفصل في الملل والأهواء والنحل. مكتبة الخانجي: القاهرة.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. التحرير والتنوير. الدار التونسية: تونس، للنشر، (١٩٨٤م).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. ط ٤. دار المعرفة: بيروت.

ابن منظور. محمد بن مكرم. لسان العرب. ط ١، دار صادر: بيروت.

أبو حامد الغزالي. الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل. المكتبة العصرية: صيدة بيروت.

أحمد ديدات وأنيس شروش. مناظرة العصر. دار الفضيلة: القاهرة، ب. ت.



- أحمد شليي. المسيحية. مكتبة نضضة: مصر، (١٩٧٨م).
- أحمد مختار عبد الحميد عمر. (ت ١٤٢٤ هـ). بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب: ط١، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) «معجم اللغة العربية المعاصرة» (١٣٧٢/٢) مادة ض ه أ.
- أعمال الرسل. ١٣-٣٢-٣٣.
- الإمام الغزالي. الرد الجميل لإهية عيسى بصريح الإنجيل. أبو عبد الله السلفي، الداني آل زهوي، المكتبة العصرية: بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير: بيروت، (١٤٠٧هـ).
- بشرية المسيح ونوبة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين. دكتور محمد أحمد خليل ملكاوي. ط١، (١٤١٣هـ)، مطابع الفرزدق التجارية.
- بطرس عبد الملك؛ آخرون. قاموس الكتاب المقدس. دار مكتبة العائلة: بيروت، لبنان، ط٢ (٢٠١١م).
- البغوي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل. تحقيق: خالد العك، دار المعرفة: بيروت د. ت.
- البولسي، جورج فاحوري. ذيل كتاب الإنجيل في الكتاب للقس درة الحداد. تحت عنوان: مجموعة الأستاذ الحداد القرآنية والإنجيلية.
- الجاحظ. الرد على النصارى. تحقيق محمد عبد الله الشرفاوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع: (١٩٨٤).
- جمال محمد سعيد. رد افتراء النصارى بألوهية المسيح في القرآن. دار زهراء الشرق: القاهرة، مطبعة الشمس: المنوفية، (٢٠٠١).
- حبيب سعيد. أديان العالم. دار التأليف، والنشر للكنيسة الأسقفية: بالقاهرة.
- داود علي الفاضل الفاغوري. العقيدة الإسلامية من القرآن الكريم. دار الفكر: عمان، (١٩٨٩م).
- ر. ك. سبرول. حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي. ترجمة نكلس نسيم سلامة، دار الطباعة: مصر الجديدة، ط٢، ٣٩.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. مختار الصحاح. تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان: بيروت، (١٤١٥هـ).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مؤسسة الرسالة: بيروت، (١٤٢١هـ).
- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: خالد العك، دار الفكر: بيروت، د. ت.
- عباس العقاد. عبقرية المسيح. دار الآفاق العربية: (٢٠١٧م).
- علي بن عتيق الحربي. افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح عليه السلام. دار



الملك فهد: السعودية، ب. ت.

فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن. **التفسير الكبير**. دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط ٣، (١٤٢٠هـ).

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**. تحقيق: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط ٦، (١٤١٩هـ).

لوقا، إبراهيم. **المسيحية في الإسلام**. مكتبة الطريق الجيد: سويسرا، ط ٥، (١٩٩٥م).

محمد أبو زهرة. **محاضرات في النصرانية**. دار الفكر العربي: القاهرة، (١٩٦١م).

محمد أبو شهبة. **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**. مكتبة السنة: (١٣٩٣هـ).

محمد السعدي. **دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة**. دار الثقافة: قطر، (١٩٨٥م).

محمد مجدي مرجان. **الله واحد أم ثالث**. مكتبة النافذة: ط ١، (١٩٧٢م).

مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري. **صحيح مسلم**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، د. ت.

موسى يعقوب. **عقائد الكنائس النصرانية حول شخص المسيح ورسائله**. دراسة تحليلية مقارنة بين الكتاب المقدس والقرآن، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدعوة الإسلامية.

نبيل السملوطي. **بناء المجتمع الإسلامي ونظمه**. (دراسة في علم الاجتماع الإسلامي)، ط ٢، (١٤٠٨هـ) / (١٩٨٨م)، عن دار الشروق: جدّة.

يوسف درة الحداد. **دروس قرآنية، الإنجيل في القرآن**. منشورات المكتبة البولسية: لبنان، ط ٣، (١٩٩٣م).